محمد فريد والحزب الوطني المصري
دراسة تاريخية من منظور الوثائق الغربية

د. محمود احمد قاسم الشعبي

جامعة صنعاء كلية الآداب

مقدمة

في عام ١٩٠٧ تأسس الحزب الوطني المصري، على يد الزعيم المصري مصطفى كامل [١٨٧٤-١٩٠٨]، الذي لم يعش طويلاً، فقد توفى عام ١٩٠٨، وعمره لا يزيد عن ٣٤ عاماً، وفي ١٤ فبراير من نفس العام، اختارت الجمعية العمومية صديقه محمد فريد [١٨٦٨-١٩١٩] البالغ من العمر ٤٠ عاماً، لرئاسة الحزب الوطني.[1] نتيجة لصموده وتضحياته المتواصلة، التي بذلها من أجل تحرير مصر من الاحتلال البريطاني، وقد نجح فريد في كسب احترام وثقة الوطنيين المصريين، فبقي زعيماً لذلك الحزب طيلة حياته،[2] وخلال إقامته في مصر مارس فريد مهنة المحاماة كوظيفة أساسية، وكتب في التاريخ واحترف السياسية. ومن الأمور التي تذكر عند التأريخ لحياة الرجل، أنه طالب بالدستور وناضل من أجل خروج الانجليز من بلاده. ولم يأل جهدا في تشجيع أية بادرة وطنية، ومن ذلك أنه كتب مقدمة لديوان شعر وطنيتي، الذي ألفه علي الغياثي؛ وكرد فعل على نشاطه السياسي الفاعل، حُكِم على فريد بالسجن، وبعد خروجه منه هاجر إلى أوروبا، واستمر يقود الحزب الوطني من منفاه ويعارض الاحتلال البريطاني، حتى وافته المنية في برلين عام ١٩١٩؛ توفى فريد وحسابه الوطني حافلاً بالكفاح والتضحيات وأنفق كل ثروته من أجل مصر، ولم يترك من المال حتى ما يكفي لنقل رفاته إلى مسقط رأسه فتم دفنه مؤقتاً في برلين. وفي عام ١٩٢٠ تطوع الحاج خليل عفيفي – تاجر قماش مصريّ من الزقازيق– بنقل رفاته إلى القاهرة، وفي وسطها بُنِيِ له

[1] Trefzeger, Marc: Die Nationale Bewegung Ägyptens vor 1928 im Spiegel der schweizerischen Öffentlichkeit. Basel 1970. S. 25 ff. u. S. 47ff. الرافعي، عبد الرحمن: محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية . القاهرة ١٩٤٨. ص. ٤٢ وما يليها.

[2] Trefzeger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 47ff.; Krämer, Gudrun: Minderheiten, Millet, Nation. Die Juden in Ägypten 1914-1952. Wiesbaden 1982. S. 251ff.

تمثال تذكاري في المكان المعرف بميدان محمد فريد. أما على المستوى العائلي فلم يُخلّف فريد غير ابنةٍ واحدةٍ اسمها فريدة.

بالجهد المتواصل تم التغلب على الكثير من الصعوبات، التي اعترضت الباحث أثناء جمعه للمادة من الوثائق المتناثرة، والقيام بترتيبها مع بعضها، بعد أن كانت مشتتة في أماكن كثيرة، وبين أكوام مختلفة من الوثائق وقصاصات الصحف ومسودات خطب ومنشورات مبعثرة ومحزمة في ملفات كثيرة، ولم يكن من السهل ترتيبها وتركيبها وربطها بعضها ببعض، ودراستها واستخراج تلك التصورات والأفكار، ثم الحكم من خلالها على توجهات الرأي العام.

وتأتي هذه الدراسة الحاضرة اتساقا مع عددٍ من البحوث والدراسات، التي أجراها الباحث، وتناول فيها مختلف النشاطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي عاشتها مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين، وقد كان اهتمامه منصبا في أولى تلك الدراسات على علاقات مصر بألمانيا. كما أفرد دراسات أخرى عن حياة الخديوي عباس حلمي الثاني في المنفى، وثالثة عن نشاط الحزب الوطني المصري بقيادة محمد فريد في مهجره. ومن خلال ذينك العملين تم الكشف عن الاختلافات والتوجهات السياسية بين الخديوي وفريد، وانعكاس ذلك على السياسة الألمانية، وعلى نشاط وتطور مختلف تيارات المعارضة المصرية الأخرى، وفي مقدمتها لجنة الشبيبة المصرية "Die Jung Ägypter" أو شباب مصر، أو مصر الفتاة عند البعض، مع التنبيه إلى عدم الخلط بينها وبين مصر الفتاة التي تشكلت فيما بعد في مصر، وقد ترأس ذلك التيار الدكتور المصري محمد فهمي، الحاصل على الجنسية السويسرية. وفي تلك الأثناء أسس الدكتور منصور رفعت الحزب الراديكالي المصري. هذا؛ علاوة على تيارات سياسية ومنظمات

اجتماعية وجمعيات علمية وخيرية أخرى أسسها مهاجرون وطلاب مصريون في كلٍّ من ألمانيا وسويسرا في تلك الفترة وبعدها.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الدراسة الخاصة بالخديوي عباس حلمي الثاني، قد تناولتْ علاقاته بألمانيا وبدول أوروبية أخرى، وحاولت الكشف عن رؤيته للأمور، وسعت إلى إظهار كيف تشتت أولوياته بين رغبته القوية في استرجاع حقوقه الشرعية وسلطانه المسلوب من جهة، وحرصه الشديد على عدم التضحية بأمواله وأملاكه وعقاراته في مصر من جهة أخرى، والتي كان الانجليز والحكومة المصرية الخاضعة لهم يستعملونها وسيلةَ ضغطٍ لمساومته عليها في مقابل أن يكفَّ عن طلبه ويتنازل نهائيا عن حقوقه التاريخية والشرعية في خديوية مصر، وهو الأمر الذي جعل الخديوي يظْهر في موقع المدافع، ومن ناحيةٍ أخرى عمدت الدراسة، إلى كشف السياسات الانتهازية، التي لعبها بعض كبار رجال الدولة التركية، انطلاقا من رؤيتهم الضيقة لمستقبل مصر. وفي مقدمتهم الباب العالي، سعيد حليم باشا، الذي كان يظنُّ أنَّ من حقه الحصول على خديوية مصر بعد أن تعود، مرةً أخرى، تحت الحكم العثماني المباشر، فيما لو تم لدول الوسط -المكوَّنة من ألمانيا والنمسا والدولة العثمانية والدول الحليفة لها- الانتصار في الحرب على دول الوفاق الودي -المكوَّنة من بريطانيا وفرنسا والدول الحليفة لها-.

وعند المقارنة بين توجهات الخديوي عباس حلمي الثاني والباب العالي سعيد حليم باشا من جهة، والتوجهات الوطنية الثابتة التي اتبعها محمد فريد طوال الفترة التي قضاها في المهجر من جهة ثانية، نجد أن الوثائق الألمانية الخاصة بفريد قد شغلتْ مساحةً تفوق في أهميتها وتزيد في كميتها على الوثائق المتعلقة بالخديوي عباس حلمي، ويلزم التنويه إلى أن الباحث قد قام برصد للمادة الوثائقية لفترة ما قبل الحرب العالمية الأولى وأثنائها؛ بل حتى نهايتها. ومن ثم أتيح له

دراستها وتقييمها بشكل كامل. وقد كان من المفيد للبحث المطروق أن هذه المادة الوثائقية سوف تقدم وصفاً توضيحياً لما جرى في تلك الفترة من أحداثٍ وفعاليَّاتٍ وتطوراتٍ ومتغيراتٍ بالنظر إلى سياسات ومواقف تيارات المعارضة المصرية الرئيسية في كلِّ مرحلة.

ومما تَحْسُن الإشارةُ إليه، في هذا السياق، هو أن مسألة مستقبل مصر بعد التحرير وعلاقتها بتركيا، كانت تُناقش علناً في أغلب فعاليات وندوات وكتابات ومنشورات تيارات المعارضة المصرية المختلفة في المهجر، كما كان الحال عند غيرهم من العرب المؤيدين لفكرة الجامعة الإسلامية. وقد كان الهمُّ الشاغل للمصريين، أثناءَ مناقشتهم لتلك الأفكار والتصورات، يتلخص في التساؤل حول إمكانية استبدال الاحتلال البريطاني باحتلال آخر يتمثل في عودة الهيمنة العثمانية المباشرة على مصر؛ أو إمكانية أنْ يأخذ الوضع صيغة مختلفة يحتفظ فيها السلطان العثماني بسيادة اسمية على مصر فقط في الوقت الذي يكون الحكم الفعلي فيها من حقِّ المصريين؛ بحيثُ تكون الحال أشبه بما كان لإمبراطور النمسا من سيادةٍ على مملكة المجر، وفي الوقت ذاته رأى البعض أن مصر المستقبل، ينبغي أن يكون لها نظام سياسي، على غرار النظام السويسري.[٣]

---

[3] توضيح أ- اعتمد الباحث في انجاز هذه الدراسة على المصادر الأصلية والوثائق السرية الأوروبية، التي لم تنشر من قبل في أي عمل مماثل. وقد تم الحصول على القسم الأساسي من دور الوثائق الألمانية المختلفة ومن أرشيف وزارة الخارجية البريطانية، وذلك علي شكل نسخ ورقية وفيلمية ورقمية، وسوف يتم توثيقها مختصرة في هوامش هذه الدراسة بحسب الرموز المختصرة لتلك الأماكن، كما موضح بين الأقواس على النحو الآتي:

الأرشيف السياسي في وزارة الخارجية الألمانية [PAAA] Politisches Archiv des Auswärtigen Amtes

الأرشيف الاتحادي في برلين [BAB] Bundesarchiv Berlin الأرشيف الاتحادي –الاقتصادي في كوبلنس Bundesarchiv Koblenz [BAK] =

وتتكون المادة العلمية لهذا الموضوع المهم وغير المدروس من تاريخ حركة المعارضة المصرية، في صورتها الأساسية، من الوثائق السرية غير المنشورة، والتي قمنا بجمعها من الأرشيف السياسي التابع لوزارة الخارجية الألمانية، ومن الأرشيف الاتحادي الألماني بفروعه المختلفة السياسية والاقتصادية والعسكرية، وأيضاً من أرشيف الخارجية البريطانية في لندن، إضافةً إلى ما توفر حتى الآن من دراساتٍ أوروبية منشورة، وإنْ كانت محدودة جداً، ولأسباب منهجية وعلمية تم تقسيم ما جُمِع من المادة الوثائقية إلى ثلاثة دراسات منفصلة بعضها عن

=الأرشيف الاتحادي -العسكري في فرايبورج Bundesarchiv/ Militärarchiv Freiburg [BA-MAF]

أرشيف وزارة الخارجية البريطانية في لندن: Public Record Office London [FO- PRO]

ونشير أيضاً إلى أن الأرقام الواردة بعد رمز الأرشيف تشير إلى الرقم المسلسل للحافظة أو الملف، التي يوجد بداخله الوثيقة. أما أرقام الصفحات، الموضوعة في نهاية هامش الوثيقة، فهي تدل على رقم الوثيقة المسلسل داخل ملف الباحث الخاص، وقد تم وضعها لتسهيل الرجوع إلى أي وثيقة مطلوبة. أما المعلومات والرموز والاختصارات التالية لرقم الحافظة، فإنها تشير إلى مهنة مرسل ومستلم الوثيقة، وتاريخ ومكان صدورها، ولا تدون إلا مرة واحدة. وبشكل عام تم الاستفادة من جميع المصادر والدراسات الغربية المتاحة والمتعلقة بموضوع الدراسة. أما وثائق الأرشيف المصري، فقد استحال على الباحث الوصول إليها، لأسباب يعرفها الكثير من الباحثين الأجانب والمصريين بوجه خاص، ولا مجال هنا لسردها.

ب- لأسباب علمية ومنهجية وتقنية، تم تدوين جميع مصادر هذه الدراسة باللغات التي كتبت فيها. كما تم توثيق مصادر البحث في أسفل كل صفحة، وترقيمها بشكل متواصل، وفي المرة الأولى فقط يتم سرد المعلومات الكاملة لكل مصدر، وبحسب طرق وقواعد مناهج البحث العلمي المعمول بها في أوروبا وألمانيا خاصة، وأما المصادر المتكررة في الهوامش، فقد تم كتابتها بشكل مختصر، ولأسباب تقنية تظهر أرقام الهوامش في الجهتين.

ج- تم استخدام بعض الأسماء والمصطلحات المتشابهة، أو القريبة في معانيها، لنفس المعنى والهدف، فعلى سبيل المثال ورد ذكر الدولة التركية بمعنى الدولة العثمانية، وانجلترا بمعنى بريطانيا، والدراسة بمعنى البحث، المنفى بمعنى المهجر، الوزير الأول بمعنى الباب العالي، وبعض الأسماء وردت في صيغة المؤنث والمذكر، وهكذا في الأمثلة الأخرى. ولأسباب كثيرة منها خصوصية هذا البحث لم تكتب سير توضيحية للأعلام.

د- استفاد الباحث من دراسة مارك تريفتزجير، عن المعارضة المصرية في سويسرا، من واقع الأرشيف السويسري، ومن النسخة الانجليزية من مذكرات محمد فريد، المترجمة من قبل آرثر جولد اشميدت.

بعض، وترتيبها موضوعياً ومنطقياً وتاريخياً: الأولى منها هذه الدراسة، والتي توثق لتاريخ حركة المعارضة المصرية في المهجر بقيادة محمد فريد. أمّا الدراسة الثانية فتؤرخ لسيرة حياة الخديوي عباس حلمي الثاني ونشاطاته المختلفة في المنفى. وتؤرّخ الدراسة الثالثة لأعمال وفعاليات التيارات المختلفة للشبيبة المصرية في المنفى، ومواقفها من الاحتلال البريطاني لمصر، والتي استوجب فصلها أيضاً عن موضوعي فريد والخديوي، ومعالجتها بشكل منفصل لما لها من خصوصياتٍ تجعلها بنيةً بحثيةً قائمةً بذاتها وتستدعي معالجةً منهجيةً خاصّة.

علاوةً على المادة الوثائقية المشار إليها، تمت الاستفادة من الدراسات والبحوث الأجنبية؛ وفي مقدمتها أطروحة دكتوراه للباحث السويسري مارك تريفتزجير، ركز فيها على موضوع التأثير السياسي لكتابات ومنشورات حركة المعارضة المصرية من منظور الرأي العام السويسري، وقد شملت دراسته سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى إلى عام ١٩٢٧. ورغم أن نقصا منهجيا يعتور هذا البحث؛ إذ أنه لم يتناول نشاط المعارضة المصرية في ألمانيا، ولم يستخدم الوثائق الألمانية والمصادر الأخرى المتعلقة بتلك الفترة؛ لأنها حتى ذلك الحين لم تكن متاحة للباحثين، فإنّ ذلك العمل قد أسهم، نسبياً، في تغطية أحداث ما قبل عام ١٩١٧ على وجه التحديد. كما تمت الاستفادة، نوعاً ما، من مذكرات محمد فريد المنشورة باللغة الانجليزية.[٤] وما دونَ ذلك فإننا نزعم أن هذه الدراسة تنفرد عن غيرها من الأعمال السابقة بأنها الدراسة العلمية الأولى، التي تعتمد على الوثائق المؤرشفة، لتؤرخ للموضوعات الثلاثة المشار إليها أعلاه. فهي بذلك، تنطوي على محاولة لتغطية ثغرات ونقص ما كتب قبل ذلك، لاسيما دراسة مراحل وأحداث

[4] Arthur, Goldschmidt, Jr.: The Memoirs and Diaries of Muhammad Farid, an Egyptian Nationalist Leader (1868-1919). San Francisco 1992.

الفترات السابقة والتالية لعام ١٩١٧من واقع الوثائق السرية الألمانية والبريطانية، التي تضمنت الكثير من المعلومات المتعلقة بفعاليات ونشاطات المعارضة المصرية في المنفى عامةً، وفي سويسرا وألمانيا على وجه الخصوص.

أما فيما يتعلق بالوثائق والمصادر والدراسات العربية الخاصة بالموضوع، فقد استحال على الباحث الحصول على أية وثيقة من الأرشيف المصري، لأسباب كثيرة، بعضها لا علاقة لها بالبحث العلمي، والبعض الأخر متعلق بـــ "السرية ومنع النشر"، علاوة على صعوبة الإجراءات ذات الطابع السياسي من جهة، والروتين البيروقراطي من جهة أخرى؛ تلك المعوّقات يعاني منها حتى الكثير من الباحثين المصريين. ومن هنا يلاحظ أن الكثير من الباحثين المصريين لم يستفيدوا من الوثائق المصرية، كما يظهر من متون مؤلفاتهم عن النصف الأول من القرن العشرين وهوامشها التوثيقية. في حين أن منهم من استعان بالوثائق البريطانية؛ مما يوحي للقارئ بعدم وجود وثائق مصرية إن جاز هذا التعميم.

ونحنُ لم نطلع- في حدود ما أجريناه من استقصاء- سوى على بعض الدراسات والملخصات البسيطة، المتضمنة لبعض المعلومات الخاصة بموضوع الدراسة، والتي يصعب الحصول عليها من مصادر أخرى؛ ومنها دراسة لرءوف عباس حامد اعتمد فيها كثيراً على مذكرات ورؤى محمد فريد نفسه، كما تسنى لنا الاطلاع على مجمل مؤلفات عبد الرحمن الرافعي بيك، المعاصر لتلك الفترة، وخاصة كتابه: "محمد فريد رمز التضحية والإخلاص"، والذي ضمَّنه قدراً من المعلومات عن حياة فريد. ويبدو من خلال البنية التركيبية للكتاب أن الرافعي قد اعتمد عند كتابته على آلية الاستدعاء بالذاكرة ثم التدوين.

أولاً نشاطات وفعاليات الحزب الوطني في المنفى

١- التأسيس والانطلاقة: فضاء الوطن

في عام ١٩٠٧ تم تأسيس الحزب الوطني المصري، على يد الزعيم مصطفى كامل، الذي دافع عن حقوق مصر، وطالب بتحريرها من الاستعمار البريطاني حتى وفاته عام ١٩٠٨، عندها تولى زعامة الحزب محمد فريد بيك، وفي الفترة ذاتها تم تأسيس أحزاب أخرى، تتبنى أفكار قريبة من الأفكار الحزب الوطني، مثل المطالبة بإدخال إصلاحاتٍ داخليةٍ وتعديلاتٍ على الدستور المصري. وفي البيان الخاص بتأسيس الحزب الوطني، أوضح مصطفى كامل أن الهدف الأسمى لحزبه، يكمن في استقلال مصر عن التبعية العثمانية والاحتلال الانجليزي، وإبعادها عن هيمنة جميع الدول والملوك والحكومات والأمراء.[٥]

وفي فترة احتلالهم لمصر [١٨٨٢-١٩٢٢] مارس الانجليز وسائل مختلفة من القمع، بالتعاون مع الحكومات المصرية الخاضعة لهم، مما ساعد على تدهورت الأوضاع بشكل كبير. ومع بداية العقد الثاني من القرن العشرين، فُرِضت الرقابة على النشر، واشتد الكبت على حريات الناس، وتطور ذلك إلى التحريم شبه الكامل للأنشطة السياسية. وقد كان من شأن تلك الإجراءات القمعية وغيرها أنْ أجبرت الكثير من تيارات المعارضة المصرية على أن تنقل نشاطها إلى خارج مصر، وعلى رأسها الحزب الوطني.[٦] حينها ظنت سلطات الاحتلال البريطانية أنها تستطيع إغراء رموز تلك المعارضة، بعرض رئاسة الوزارة المصرية على محمد فريد، ولكنَّ فريداً رفض ذلك العرض، مبرراً رفضه بأنه لا يمكن أن يشغل ذلك

---

[5] Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S.7. -١٩٠٠ السعيد، رفعت: تاريخ الحركة الاشتراكية ١٩٢٥ بيروت ٢١٩٧٢. ص. ٢٧-٢٩.

[6] Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 30.

المنصب ما دامت انجلترا تحتل مصر.[٧] وكما فعل سلفه مصطفى كامل، يُذكر أن محمد فريد سافر إلى أوروبا بعد أن تسلم رئاسة الحزب الوطني، وكان يستغل كل الفرص المتاحة له لشرح سياسته، وأهداف حزبه، الرامية إلى تحرير مصر من كل أشكال التبعية للقوى الخارجية.[٨] وفي عام ١٩١١ تم القبض على محمد فريد، وحبسه لمدة ستة أشهر، لأنه كتب مقدمة لديوان شعر بعنوان "وطنيتي" ألفه علي الغياثي،[٩] الذي فر إلى خارج مصر، وأثناء الحرب العالمية الاولى تغيرت مواقفه، حتى أن الوثائق اتهمته بالتعاون وبالتجسس على أبناء جلدته في المهجر لحساب البعثات الدبلوماسية البريطانية في أوروبا.[١٠] وإذا اعتبرنا أن الشروط الأساسية لأي مقاومة، تتمثل في الدعم السياسي الداخلي، والمساندة الشعبية لها، ولذلك فإن ضعف الدعم الشعبي للمعارضة، كان السبب في عدم تدويل المسألة المصرية. مثل هذا الاعتقاد صدر أيضاً من جهات أخرى، من بينها سلطات الاحتلال البريطاني، وكذلك من الطبيب المصري المعارض منصور رفعت، الذي مثّل الجناح المتشدد في الحزب الوطني، كما أسس حزباً خاصاً به. لكن الباحث يرى أن ذلك الحال يمكن تبريره؛ عند النظر إلى أن مصر كانت ترزح تحت الاحتلال البريطاني

---

[7] السعيد، رفعت: تاريخ الحركة. ص. ٣٤ وما بعدها.

[8] Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 27 u. 25. هذا الهامش دخل جديد على الترتيب السابق

[9] في عام ١٩١١ نشر على الغياثي كتابه "وطنيتي" الذي تعرض فيه لسياسة الخديوي عباس حلمي الثاني، ولسلطات الاحتلال البريطانية، فردت الحكومة المصرية بمنع ذلك الكتاب، وحبس الشيخ عبد العزيز جاويش، والزعيم محمد فريد، وحُكِم عليهما بالسجن لعدة شهور، لأن الرجلين كتبا مقدمة ذلك الكتاب، أما على الغياثي، فقد فر إلى أوروبا. Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 49 u. 110.

[10] التفاصيل في: قاسم، محمود: العلاقات الدبلوماسية الألمانية مع مصر. هامبورج ٢٠٠٠ ص. ٦٦، ٧٢.

لعشرات السنين، ناهيك عن أن القضية برمتها لا تزال بحاجة إلى دراسة مستقلة تبحث في الدوافع والأسباب الحقيقية لذلك الضعف لكي تتوصل إلى نتائج منطقية.

وفي بداية الأمر كان الهدف الرئيسي للمعارضة الوطنية المصرية، منصباً على شرح أوضاع مصر للعالم من خلال رسم صورة حقيقية لما تعانيه البلاد تحت الاحتلال،[١١] بالإضافة إلى العمل على تحريك الرأي العام العالمي، والتوجه بخطاب سياسي خاص نحو أوروبا وأمريكا للفت نظرهما تجاه القضية المصرية. هذا إلى جانب ما قام به المناضل المصري مصطفى كامل قبل وفاته استنادا إلى ما تمثله شخصيته من ثقل اعتباري. ومنذ العام ١٩١٠ بدأت المعارضة في المهجر بإعداد وتنظيم العديد من الفعاليات والنشاطات المتمثلة في عقد الاجتماعات وإقامة المهرجانات بمفردها تارة وبالمشاركة مع آخرين تارة أخرى، وذلك من أجل تعبئة المعارضة المصرية نفسها بنفسها من ناحية، ومن ناحية أخرى، من أجل إشهار قضيتها المتمثلة في جانبين مرتبطين ارتباطا عضويا وضروريا: الأوضاع المزرية في مصر، وجور السياسة الاستعمارية لسلطات الاحتلال. واتساقا مع ذلك الهدف الدعائي، أصدرت المعارضة بعض الصحف والدوريات، ودأبت على تنظيم تلك الفعاليات. والجدير بالاهتمام أن تلك النشاطات لم تتوقف على محمد فريد ورفيقه إسماعيل لبيب فقط، بل أخذت طابعا جماعيا مشتركا حيث شاركهم لفيف من النخب المصرية كالدكتور محمد فهمي والدكتور منصور رفعت وغيرهما من المنفيين والمقيمين والدارسين، الذين بذلوا جهوداً كثيرة وقاموا بأنشطة مختلفة أهمها كتابة المقالات الصحفية، وطبع المنشورات التي تشرح حالة مصر وتوثق لما يحدث على الأرض.[١٢]

---

[11] Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 27 u. 49.
[12] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 25 u 27.

٢ – البحث عن فضاءات أخرى

ومن الجهة المقابلة وتزامنا مع ذلك، كانت سلطات الاحتلال البريطانية تتخذ إجراءات أكثر صرامة، وتصدر قوانين وتعليمات استثنائية بغيةَ وضع الكثير من العقبات والعوائق أمام مثل تلك الأنشطة.[١٣] وهو الأمر الذي أدّى إلى إجبار الكثير من قيادات المعارضة الوطنية على أن تترك مصر وأن تهاجر إلى الخارج. ومنذ العام ١٩٠٩ شرع رموز المعارضة المصرية في ممارسة نشاطاتهم السياسية في أوروبا، وأخذوا يدعون إلى تحقيق أهدافهم من هناك. ويعدُّ مؤتمر الشبيبة المصرية الثاني، الذي عقد في جنيف في سبتمبر من عام ١٩٠٩ من أبرز تلك النشاطات، الهادفة إلى إعلام الرأي العام الأوروبي بقضيتهم. وبالإضافة إلى قيادات الحزب الوطني، شارك في ذلك المؤتمر، عدد من القيادات السياسية والأحزاب الوطنية المصرية الأخرى، ومن انجلترا شاركت شخصيات رفيعة على سبيل المثال: دبليو. إس. بلونت وإم. كير هاردي عضو البرلمان وزعيم حزب العمال البريطاني،[١٤] W.S. Blunt, M. Keir Hardie M.o.P. and Chef of the Labour Party). وقد نجح المؤتمر في تحقيق هدفه الرئيسي لفت النظر إلى القضية المصرية بتعقيداتها. عقب ذلك استمرت المعارضة المصرية تعقد مؤتمراتها وتقيم أغلب نشاطاتها في سويسرا، حتى قيام الحرب العالمية الأولى، عندها أصبح على السياسيين المصرين والمنفيين منهم، أن يعرفوا أن تحركاتهم ونشاطاتهم مرصودة، وأنها أصبحت محصورةً في محيط محدود. وقد جعلهم هذا الظرف السياسي عرضة للاصطدام بمعارضة قوية تبنتها بعض القوى الامبريالية الكبرى كالحكومة الفرنسية، التي منعتهم من عقد المؤتمر الوطني المصري في باريس عام

[13] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 30.
[14] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S.29f.

١٩١٠. وقد تناول الباحث السويسري مارك تريفتزجير ظروف وأسباب وخلفيات صدور ذلك المنع، وتوصل إلى أنه كان رداً على مواقف الحزب الوطني من سياسة فرنسا الاستعمارية، ومن أساليب الحماية التي فرضتها في شمال أفريقيا. فقد كانت الصحف الوطنية المصرية، وفي مقدمتها اللواء والمؤيد، تكثر من الكتابات المحرِّضة لسكان شمال أفريقيا ضد الفرنسيين، وضد عملياتهم الحربية في المغرب، وتشهِّر بهم وبإجراءاتهم القمعية في تونس. كما اتهمت فرنسا الوطنيين المصريين بالترويج لفكرة الجامعة الإسلامية Panislamismus في تونس والجزائر بواسطة عملائهم هناك.[١٥] فحتى ذلك الحين كانت فكرة الجامعة الإسلامية، لا تزال مطروحة في أجندة فريد وسياسة حزبه، وهو ما سيتم مناقشته في سياق هذه الدراسة.

بداية من عام ١٩١٠، تبنت فرنسا سياسة متشددة تجاه المعارضة المصرية ورموزها، فوجد المعارضون المصريون أنفسهم مجبرين، أكثر فأكثر، على البحث عن بلدان محايدة يهاجرون إليها، ومنذ العام ١٩١٢ أصبح محمد فريد يقضي معظم أوقاته في سويسرا، ولم يعد إلى بلاده لخوفه من أن يتم اعتقاله في مصر مرة ثانية. وفي مؤتمر الحزب الوطني، المنعقد في ربيع عام ١٩١٢، تحدث محمد فريد، وشرح أوضاع مصر تحت الاحتلال البريطاني، وطالب بأن يكون لها دستورها الخاص. وفي محاولة منها للحد من نشاط وتأثير محمد فريد وتشويه سمعة الحزب الوطني، أمام الرأي العام، داخل مصر وخارجها، حاولت سلطات الاحتلال البريطاني تجريم فريد، بمحاولتها ربط خطابه المشار إليه، بمؤامرة "Komplott" كشفت عنها السلطات البريطانية، في فترة انعقاد ذلك المؤتمر. فقد زعمت حينها أن تلك المؤامرة، كانت موجهة ضد الحكومة المصرية، والخديوي عباس حلمي الثاني،

[١٥] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 31.

والمندوب السامي البريطاني اللورد كيتشنر.[١٦] وقد ردت المعارضة على تلك المزاعم، في مقالة نشرتها مجلة "الشرق الجديد" كتبها احمد المصري A. Al-Masri [لعله اسم مستعار] لأحد أعضاء لجنة الشبيبة المصرية، أشار فيها إلى جهة معينة لم يحددها بالاسم، وذاكر أنها تقف خلف تلك المؤامرة المزعومة، لأن لها مصلحة في إعطاء اللورد كيتشنر مبرراً للقبض على سياسيين مصريين، لا يطمئن لهم، والزج بهم خلف القضبان الحديدية، لفترة طويلة، حتى يسلم شرهم.[١٧] وقد تضمن كتاب عبد الرحمن الرافعي، "محمد فريد رمز" مناقشة مفصله لتلك القصة.

وحول الأسباب والمبررات التي جعلت محمد فريد يغير مكان إقامته من تركيا، التي كان يقضي فيها معظم أوقاته، إلى سويسرا؛ تذكر المصادر أن ذلك لم يحدث إلاّ عندما بدأ يشعر بعدم الأمان على نفسه في عاصمة السلطنة. هذا؛ بالإضافة إلى أنّ رفيقه في الحزب، الشيخ عبد العزيز جاويش، الذي فضل البقاء في تركيا، على الرغم من الشكوك التي كانت تراوده، وشعوره بعدم الأمان، فبعد وقت قصير صدقت شكوكه، وتم اعتقاله وترحليه إلى مصر.[١٨] وخلال العقد الأول والثاني من القرن العشرين، هاجر الكثير من المعارضين المصريين إلى تركيا وأوروبا عامة، وسويسرا وألمانيا خاصة، ومن هناك مارسوا نشاطاتهم السياسية المتنوعة، المعارضة للاحتلال البريطاني. وتذكر المصادر أن سويسرا المحايدة، منحت الكثير من السياسيين والمعارضين والطلاب المصريين، حق اللجوء والإقامة في أراضيها، وأن المصريين من جانبهم كانوا يشكرون الحكومة السويسرية، ويعترفون لها بتلك المواقف، ويثنون عليها في اجتماعاتهم ومناسباتهم العامة.

---

[16] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 49f. u. 52. انظر أيضاً الرافعي، عبد الرحمن: محمد فريد رمز. ص. ٢٦٢-٢٦٧.

[17] Vgl. PAAA 15052, S. 1. Lausanne. 12.03.1918.

[18] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S.49, Fußnote 10.

وحرصوا دوماً على الاعتراف بما يتمتعون به من طيب الإقامة والحياة الحرة، ويؤكد تريفتزجير أن ذلك قد أثر ايجابيا في فكرهم وأيدلوجيتهم ورؤيتهم لمستقبل بلادهم، فقد كانوا يرون في النظام السياسي للدولة السويسرية، نموذجاً مثالياً لمصر المستقبل.[١٩]

٣ – وسائل الإشهار: المؤتمرات، الصحف والمنشورات

وبطبيعة الحال لم تكن تلك المؤتمرات الوسيلة الوحيدة، التي تم استخدامها للترويج لوجهات نظر المعارضة المصرية، أمام الرأي العام، وانتقادهم ومقاومتهم للاحتلال الانكليزي، بل توفرت لهم إمكانيات أخرى، فقد استغلوا الكثير من الأحداث السياسية، وقاموا بنشرها في الصحافة من أجل لفت نظر الرأي العام لتوجهاتهم وعدالة قضيتهم. وحتى قيام الحرب العالمية الأولى، تم تنظيم الكثير من تلك الفعاليات والمؤتمرات في سويسرا وغيرها من بلدان أوروبا، من قبل المصرين أنفسهم، أو من قبل جهات أخرى وظفها واستغلها المصريون لصالح قضيتهم، ومن تلك الفعاليات "مؤتمر السلام العالمي" في جنيف عام ١٩١٢، و"مؤتمر السلام" الذي عقد في لاهاي Den Haag بهولندا عام ١٩١٣. وقد استفاد محمد فريد من المؤتمرين المذكورين بشكل كبير، حيث قام بعرض المسالة المصرية للنقاش، الذي تمخض عنه استصدار قرارات وتوصيات تدين الاحتلال الانجليزي لمصر.[٢٠] ففي مؤتمر جنيف نجح فريد بعد نقاشات ومناظرات متعمقة في الحصول على تأييد الأغلبية، لاستصدار قرار طالب بالانسحاب الفوري للقوات الانجليزية من مصر، وذكر فريد أن ذلك يتفق مع وعود بريطانيا لمصر، عند احتلالها عام ١٨٨٢،

[19] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S.30.
[20] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S.51f.

وطالبها بأن تتذكر تلك الوعود.[٢١] غير أن الأسلوب المعتدل في لهجة خطاب زعيم الحزب الوطني محمد فريد، وطرحه الدبلوماسي والحذر لمطالبه السياسية، كان عرضة لانتقادات شديدة من قبل الجناح المتشدد في الحزب، الذي كان يتزعمه منصور رفعت.[٢٢]

وبالنظر إلى فترة صدور تلك التقارير الصحفية، يتضح أن تركيبة النشاطات السياسية، لم تتأثر بالجو العام المحيط بها فقط، ولكن أيضاً بردود أفعال صحافة الرأي العام تجاهها، والتي أظهرت أن نسبة كبيرة من السويسريين كانوا يتعاطفون معهم ويؤيدون مطالبهم. ومع ذلك لا ينبغي فهم وتفسير ذلك التعاطف من منظور أن الرأي العام السويسري معارض للسياسة الاستعمارية البريطانية، بقدر ما يعبر عن تقييمه المستقل لتلك السياسات. وقد كانت تلك الاختلافات والتذبذبات في وجهات نظر الرأي العام السويسري تجاه المطالب المصرية، تتأثر بوجه عام، وتعتمد على النشاط السياسي للمعارضة المصرية. ومن جانبها حاولت تيارات المعارضة المصرية، من خلال بعض الوسائل الأخرى، الوصول إلى الرأي العام وطرح وجهة نظرها، وتمثلت تلك الوسائل في الصحف، والدوريات" التي كانوا يصدرونها بأنفسهم، رغم أن صدورها لم يكن يستمر طويلا، ويمكن اعتبار الصحيفة الفصلية "تقدم الإسلام" Le Progrès de L'Islam التي أصدرها محمد فريد عام ١٩١٣، باكورة إصداراتهم من تلك الصحف، أما اسم الصحيفة فيعود إلى اتحاد كان يحمل نفس الاسم "تقدم الإسلام" وقد منح أتباعه والعاملين فيه فرصة الكتابة في تلك الصحيفة.[٢٣] يذكر أن ذلك الاتحاد قد تأسس مع نهاية عام ١٩١٢ وبداية عام ١٩١٣ من قبل محمد فريد وبعض الشرقيين، وقد انظم إليه الكثير من

[21] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S.51, Fußnote 19.
[22] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S.38ff.
[23] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S.52.

المهتمين من الشرقيين والمهاجرين من سكان الدولة العثمانية، وكانوا يهدفون إلى تشكيل منتدى يناقشون فيه مشاكل شعوبهم ويضعون لها التصورات والحلول. وبحسب المصادر فإن صحيفة تقدم الإسلام قد استمرت في الصدور حوالي عام ونصف العام فقط، ثم توقفت مع قيام الحرب العالمية الأولى، غير أن تلك المصادر لم تفصح عن توجهات وسياسات وبرامج تلك الصحيفة. وفي بداية عام ١٩١٥، حصل محمد فريد على صحيفة أسبوعية أخرى، تسمى "صدى مصر" L'Echo de l'Egypte، استطاع فريد من خلالها أن ينشر وجهات نظره وسياسات حزبه، ومثلت لسان حال الحزب الوطني،[٢٤] لكن تلك الصحيفة لم تعمر طويلاً، فقد تم إغلاقها بعد صدور عددها الثاني، على الرغم من أن رئيس تحريرها كان محمد فهمي، رئيس لجنة الشبيبة المصرية، الذي يحمل الجنسية السويسرية. وحتى ذلك الوقت، لم تكن علاقات فهمي مع محمد فريد متوترة، فقد كان فهمي رئيساً "للجنة الشبيبة المصرية"، التي كان أتباعها يعتبرون محمد فريد زعيماً للجميع، وفي سنوات الحرب الأخيرة، شاعت بعض الخلافات في وجهات النظر بين فريد وفهمي وغيرهما، وسوف يتم مناقشة هذا الأمر في موضع لاحق من هذه الدراسة.[٢٥] والجدير بالاهتمام أن فريدا نشر في صحيفة "صدى مصر" مقالتين تضمنتا أفكاراً جديدة ومهمة، ويدل محتواهما على أنهما كانتا ثمرةَ عملٍ مشترك، ومتفق عليه بين كل من محمد فريد والخديوي عباس حلمي الثاني والأتراك، وقد نشر فريد مقالته الأولى بعنوان الحرب ومصرLa guerre et L'Egypte" موضحاً أن الوطنيين المصرين، لا يعترفون إلا بعباس حلمي الثاني خديوي مصر، وبسيادة السلطان العثماني عليها، ويرفضون الاعتراف بالسلطان حسين كامل، المعين من قبل

[24] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S.54.
[25] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S.55. u.79.

سلطات الاحتلال البريطانية. ففي بداية الحرب كان لدى محمد فريد آمال كبيرة في قدرة الجيش التركي على تحرير مصر،[٢٦] وقد عبر عن ذلك في مقالة أخرى نشرها في العدد الثاني من صحيفة "صدى مصر" التي صدرت في مارس ١٩١٥، ذكر فيها أن المعارضة المصرية ترى أن بإمكان القوات التركية، المتحالفة مع ألمانيا، تحرير مصر من الاحتلال الانجليزي، وبعد فشل الحملة التركية على قناة السويس، أخذ فريداً يغيّر مواقفه وتوجهاته إزاء تركيا يوماً بعد يوم. وعلى الرغم من صعوبة قياس مدى قدرة تلك الرغبات والآمال على تحرير مصر من الاحتلال البريطاني، ومدى ما كانت تعكسه من مواقف القوى السياسية المصرية، فإن تلمسها يمكن أن يفسح المجال لمعرفة مدى دفاع محمد فريد القوي عن تركيا ضد الإشاعات والأخبار، التي كانت تروج لها بعض الدوائر الانجليزية، القائلة بأن الأتراك يريدون طرد الانجليز من مصر، من أجل أن يعيدوا حكمهم عليها فحسب، وإنهم يريدون أن يفرضوا سلطة الإمبراطورية العثمانية من جديد.[٢٧]

ومهما يكن من أمرٍ حول صحة تلك الأخبار والإشاعات، فإنها قد أثارت مسألة غاية في الأهمية، وأصبحت تلعب دوراً كبيراً في حجج وثوابت الحزب الوطني ولجنة الشبيبة المصرية؛ ومفاد ذلك أنه حتى ذلك الحين، كانت شعارات وتصورات الحزب الوطني والمعارضين المصريين وفي مقدمتهم محمد فريد، تذهب إلى أن مصر المحررة، ستكون مستقلة ذاتياً، وتدير شئونها الداخلية بنفسها، مع إمكانية احتفاظ تركيا بحق التصرف بالشئون الخارجية، وأن فكرة الاستقلال التام عن تركيا، لم تكن مطروحة في أجندة محمد فريد ورفاقه، ولا حتى في

[26] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S.54.
[27] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 55.Vgl: Rif'at, mansur: La Patrie Egyptienne.

السياسة المستقبلية للحزب الوطني. أما بالنسبة للدكتور منصور رفعت، فقد عبر عن موقفه من خلال برقية بعث بها إلى السلطان العثماني وحكومته بمناسبة الذكرى السنوية للاحتلال البريطاني لمصر، عكس من خلالها "وجهة نظره البرجماتية" الخاصة بالمسألة المصرية، منتقداً الحماية البريطانية على مصر، واصفاً إياها بالعمل الإرهابي الواجب إزالته في أسرع وقت. وحول رؤيته لحقوق تركيا الشرعية على مصر، أوضح رفعت "بأنه طالما استمرت انجلترا تفرض على مصر قانون المحتل، فإن السيادة التركية، لا تعد حامية لحقوق مصر."[٢٨]

وفيما يتعلق بوجهة نظره وأمنياته، في قدرة الجيش التركي مع قوات دول الوسط المتحالفة معه على تحرير مصر، عبر منصور رفعت عن رؤيته للمستقبل بالقول: "نحن على ثقة، بان السلطان، سوف يصرف النظر عن إي سيادة إضافية، في شؤون مصر الخارجية، وأن يعتبر ذلك مكافئة لها على ولائها وإخلاصها لتركيا في الماضي والحاضر والمستقبل، كونه يخدم مصلحة واهتمامات الطرفين".[٢٩] ويتضح من منطوق الرسالة أن منصور رفعت قد طلب من السلطان العثماني بأسلوب دبلوماسي يتراوح بين التلميح والتصريح، أن يتخلى عن سيادته على مصر وأن يسعى من أجل منحها الاستقلال، وبذلك ذهب رفعت أبعد من فريد، مع عدم الجزم بأن ما ذكره لا يدخل ضمن المزايدات السياسي. ومن جانب آخر ذكرت بعض المصادر أن مصريين، على الأقل، هما: إسماعيل كامل وعواد البحراوي، ظلا حتى نهاية عام ١٩١٦، يدعمان فكرة الاستقلال الذاتي، ويعبران عنها في صحيفتهم L'Egypte "مصر" غير الخاضعة للحزب الوطني، في حين أن محمد فريد، كان قد غير من مواقفه، قبل ذلك التاريخ بشهور. فأثناء انعقاد مؤتمر

---

[28] Vgl. F0 371 2672, S. 1f. مقتبس من برقية منصور رفعت إلى السلطان العثماني بتاريخ ١٩١٦,١٢,١٩.

[29] F0. 371 2672, S. 1.

القوميات في لوزان عام ١٩١٦، أفصح محمد فريد عن مفاهيم وتصورات واستنتاجات جديدة، لدور مصر المستقبلي.[٣٠] وبدأ ذلك التوجه يسير ويقترب من مبدأ حق تقرير المصير. ويبدو من خلال ذلك التباين في الآراء أن الوطنيين المصريين لم يتمكنوا من توحيد صفوفهم خلف وسيلة إعلامية واحدة في أي وقت من الأوقات، لكن من المهم الملاحظة هنا أن ذلك التباين، وإنْ لم يكن مقصودا في ذاته، قد أعطى للبعض حرية الاستمرار في نشاطهم الإعلامي، في حال قيام الدوائر السويسرية بمنع الصحف المعادية لدول الوفاق، والمؤيدة في أطروحاتها لدول الوسط،[٣١] لاسيما إن نحن أخذنا في الاعتبار أنه تم منع آخر صحيفة تابعة للمعارضة المصرية من الصدور في ذلك الوقت؛ ذلك أنَّ برنامجها السياسي كان يقترب من وجهات نظر الوطنيين المصريين المؤيدين للحزب الوطني.

وعلى الرغم من المنع الذي فرض على الكثير من "وسائل إعلام" المعارضة المصرية آنذاك، فإن محمد فريد ورفاقه قد استفادوا من وسائل أخرى غير ممنوعة، ومنها النشرات الورقية [بروشورات]، التي نشر منها ثلاثة أعداد: الأول في عام ١٩١٥ والثاني في عام ١٩١٧، والثالث صدر في عام ١٩١٩ قبل وقت قصير من وفاته، والأخير تحدث فيه عن الثورة المصرية عام ١٩١٩.[٣٢] وتحت عنوان: دراسة حول الأزمة العثمانية الراهنة Etude sur la Crise

[30] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 58f.
[31] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 56.
[32] في القسم الأخير من هذه الدراسة، سنتحدث عن المنشور الذي أصدره فريد قبل وفاته، وتحدث فيه عن الثورة المصرية عام ١٩١٩.

Ottomane actuelle أشاد فريد بالمواقف الإيجابية المستمرة للوطنيين المصريين الداعمة والمساندة لتركيا، وأثنى على صداقتهم مع ألمانيا.[٣٣]

كان فريد يصدر النشرة المذكورة، نيابة عن منتدى "تقدم الإسلام" المشار إليه سلفاً، لكن كتاباته كانت تعكس سياسات وتصورات الحزب الوطني. وفي محاولة ذكية، قصد بها شد أزر المسلمين وتقوية صفوفهم، وظف فريد شعار Panislamismus الجامعة الإسلامية. ففي مقالة له بعنوان "نداء إلى الشعوب الإسلامية المضطهدة" طالبها بتوحيد صفوفها تحت قيادة السلطان العثماني، لكي تتمكن من تحرير نفسها من الاستعمار الغربي بمساعدة من التحالف العسكري التركي-الألماني، مذكراً تلك الشعوب بأن تحقيق الأماني سوف يأتي من خلال توحيد الصفوف. وأعرب عن أمله في تشكيل Confédératio islamique اتحاد إسلامي كونفدرالي، بعد تحقيق التحرر من الاستعمار، على غرار germanique Confédération الفدرالية الألمانية والسويسرية. وقال إن شعوب الجامعة الإسلامية، سيكون لديها قوة تجعلها تصمد في وجه الدول الإمبريالية، كما هو الحال عند شعوب الجامعة الجرمانية. هكذا كانت رؤية فريد المستقبلية للشعوب الإسلامية، على الأقل في المقالات التي كتبها حتى ذلك الحين. ويبدو أن فريداً قد ظل يتبنى فكرة الجامعة الإسلامية حتى عام ١٩١٦ على أقل تقدير، غير أن الموقف الحازم والقرار السياسي للحزب الوطني، لم يتبلور إلا بعد أن أفصحت تركيا عن مطالبها، وأعلنت عن المساعدة التي تريدها في حال قيامها بمهاجمة الجيش البريطاني المسيطر على جبهة قناة السويس، وقد باء ذلك الهجوم التركي بالفشل كما ذكرنا آنفا، وهو الأمر الذي سبب الإحباط للمعارضة المصرية، وأثر

[33] Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 56.

إلى حد كبير في مواقفها تجاه تركيا ونظرتها لوضع مصر في المستقبل، وقد انعكست تلك المواقف، بدورها، على مشروع الكونفدرالية الإسلامية، الذي توارى إلى الخلف، وتخلي عنه فريد نهائياً.[٣٤]

وفيما يخص الجهات التي دفعت تكاليف إصدار تلك المنشورات "الدعائية"، تحدث تريفتزجير عن حصول فريد على دعم مالي من تركيا وألمانيا، مكنه أيضاً من إصدار منشور آخر في بداية عام ١٩١٧ بعنوان: المؤامرات الإنجليزية ضد الإسلام "Les Intrigues Anglaises contre L'Islam" غير أن محتواه لم يختلف كثيراً عن محتوى المنشور السابق، من حيث استمرار الاعتقاد بحتمية انتصار دول الوسط على دول الوفاق، على الرغم من أن القوات البريطانية، كانت قد احتلت أراضي عربية إضافية، قبل صدور المنشور الثاني، وهذا يقوي الشكوك التي تقول بأن تلك المنشورات مثلت جزءاً من الدعاية الألمانية الموجهة ضد الإنجليز. وإذا كان قد تنبه لمقاصد الألمان، فقد وظف ما كتبه في تقوية صفوف المسلمين ضد الاستعمار الفرنسي والإنجليزي، وهو أمر مبرر ومشروع. وإذا افترضنا أن فريدا كان متأكداً من انتصار دول الوسط وعودة الزعامة التركية من جديد، استناداً إلى ما كتبه فوق علم الحزب الوطني، المرفق بالمقالة الثانية المشار إليها، فإننا نجد أيضاً ما يتعارض مع ما جاء بتلك المنشورات؛ ذلك أن محتوى الكلمة التي ألقاها محمد فريد منتصف عام ١٩١٦ في اجتماع مؤتمر القوميات الثالث في لوزان، قد تضمن بعض المبادئ والشعارات الوطنية، وقد تحدث فيه فريد عن الشعوب المضطهدة من قبل الاستعمار، وعن حق تلك الشعوب في تقرير مصيرها، مؤكداً بأن مصر، التي تسير بركب الحضارة المدنية منذ مئة عام، وسبق

[34] Hamed, Rauf A.: Germany and the Egyptian Nationalists Movement 1882-1918. In: Die Welt des Islam. Bd. XXVIII, 1988, S. 11-24. u. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 57.

لها أن حكمت نفسها بنفسها لن تتقبل أبداً أن تعامل كمستعمرة من قبل أي جهة أجنبية.[٣٥] بذلك التعبير أوضح فريد ورفاقه وجهة نظرهم من كفاحهم السياسي في المنفى، على الرغم من استنادهم المهزوز وغير القوي إلى دول الوسط.[٣٦] ومن هنا يتضح أن المؤتمرات والصحف والمنشورات قد شكلت أهم الوسائل، التي حاول فريد من خلالها عرض تصوراته والتوجهات السياسية المحددة لحزبه، قاصداً بذلك لفت نظر صناع السياسة والرأي العام الأوروبي إلى ما يعانيه شعب مصر.

٤- المسألة المصرية في أدبيات الحركة الوطنية

يبدو أنه كان من الطبيعي أن يتكوّن لدى الوطنيين المصريين توجهات داعمة لتركيا وألمانيا في سنوات الحرب ويتضح ذلك من خطابات ومقالات نشرها فريد بمفرده أو مع غيره من المصريين والمتضامنين معهم، والتي غلب عليها مواقف وأصوات معارضة لإنجلترا من جهة، وموافقة وداعمة لألمانيا وتركيا من جهة مقابلة. وقد كانت مواقف فريد الايجابية تجاه دول الوسط تنسجم مع أهدافه السياسية وتصوراته الواضحة، التي سيتم طرحها ودراستها بعناية، خاصة وأن العلاقة مع ألمانيا قد اتسمت بصفات أخرى مختلفة عن العلاقة مع تركيا؛ فمنذ زمن طويل وتركيا تمتلك حق السيادية على مصر بموجب ما حفظته لها الاتفاقيات والقوانين والأعراف الدولية، والتي لم تستطع بريطانيا أن تلغيها، لا عند احتلالها لمصر عام ١٨٨٢ ولا عند إعلان الحماية عام ١٩١٤.[٣٧] ومن جانبها لم تتوقف تركيا أثناء الحرب عن الحديث وعن التذكير بتلك الحقوق.

---

[35] Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 58f.

[36] في سياق هذه الدراسة سوف نشير إلى وجوه الخلاف في التفكير السياسي للحزب الوطني المصري.

[37] راجع التفاصيل في دراستنا الخاصة بالخديوي عباس حلمي الثاني.

وقد فُهِمَ من مسألة الحقوق التركية التقليدية في مصر أن مصر سوف تبقى مستقبلاً تحت الحكم العثماني، وفي الغالب كان ذلك الاعتقاد يمثل الشغل الشاغل في تفكير الوطنيين المصريين، في حين كانت علاقاتهم بألمانيا حرة تماماً، لأنه لم يكن لها أي حقوق سياسية أو إدعاءات تاريخية على مصر، كما لم تلعب المصالح الاقتصادية الألمانية المستقبلية في وادي النيل، وحرية الملاحة والعبور في قناة السويس أهمية كبيرة. هذا إلى جانب أن طبيعة الاهتمامات السياسية للألمان كانت مختلفة تماما عن تلك التي للأتراك؛ لذلك لم يكن لهم في موازنات مصالح الحزب الوطني إلاَّ أهمية قليلة، وفيما يتعلق بفكرة الجامعة الإسلامية المتأثرة بفكرة الجامعة الجرمانية، والتي لعبت دورا كبيراً في سياسات وتصورات فريد ورفيقه في الحزب الشيخ عبد العزيز جاويش، فقد كانت عائمة، وتعبر عن شيءٍ تجري المحاولة لنفخ الروح فيه من أجل تحقيق الاستفادة المعنوية منه. ولم يكن نموذج الجامعة الجرمانية، عندما درج الوطنيون المصريون على الحديث عنه، يشكل أولوية من أجل اتخاذه قناة لرسم إطار مستقبلي لعلاقة مصرية ألمانية.

من واقع ما تم استعراضه من وثائق وغيرها من الدراسات المنشورة، أمكن توضيح ما جرى من تطور في علاقات الطرفين، وخاصة في المجالات العسكرية والمواقف السياسية للوطنين المصريين.[٣٨] ففي الوقت الذي تركزت فيه الدعاية السياسية، لغاية اندلاع الحرب العالمية الأولى، على مسالة الاحتلال البريطاني لمصر، وإثارة الرأي العام ضده في المحافل الدولية، نما وتطور دور دول الوسط بعد اندلاع الحرب مع انجلترا، ويتضح ذلك من خلال ما قامت به من عمليات تحريض ضد الانجليز، والتي قفزت إلى مقدمة الأحداث السياسية،

[38] هذه هي الترجمة الألمانية الحرفية للحزب الوطني المصري "Ägyptische Patriotische Partei" al-Hizb al-Watni al-Misri.

وبالإمكان هنا استرداد مثالين لفترة ما قبل الحرب: الأول: في صيف عام ١٩١٢ عُقِدَ مؤتمر سلام عالمي في جنيف، تم فيه بضغط من محمد فريد إصدار قرار يطالب انجلترا بسحب قواتها من مصر، ولم يشر ذلك المؤتمر إلى أي ربط حكومي أو سياسي لمصر بالدولة العثمانية القديمة، بعد تغيير الوضع الرهن.

المثال الثاني: في نهاية عام ١٩١٣ نظم اتحاد الطلاب المصريين "أبو الهول "Sphinx" في جنيف ندوة لمناقشة المسألة المصرية، وقد خطب فريد في تلك الندوة، مطالباً الانجليز بالانسحاب من مصر، غير أنه لم يربط مطالبه بوضعية مصر الخاصة بالدولة العثمانية، فقد كان النضال في تلك المرحلة، موجه ضد الانجليز والحكومة المصرية "الفاسدة". وقد مثل ذلك الهدف الأول والوحيد في نشاطات وفعاليات المعارضة المصرية والحزب الوطني. وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، أُدخِلَت تطويرات وتغييرات كثيرة في أولويات الحزب الوطني طبقا لمتغيرات الواقع السياسي العالمي، ويتضح ذلك في ابتعاد فريد عن المحور الرئيسي لسياسته السابقة؛ ووفقا لمضمون مقالة له نشرها في صحيفة صدى مصر، في فبراير ١٩١٥ تحت عنوان: مصر والحرب "La gurre et L'Egypte " أكد فيها أن الشعب المصري على يقين من أن الجيش التركي سوف ينتصر، ويطرد الانجليز من مصر، وفي نفس العام ١٩١٥ نشر فريد مقالة مشابهة في صحيفة تقدم الإسلام Le Progrès de L'Islam تضمنت نقاط رئيسية ومهمة، قصد بها جلب الدعم الشعبي للحكومة التركية. وإلى جانب الأمل الذي كان يؤمن به في انتصار تركيا وحلفاؤها على انجلترا، وطالب فريد الشعوب الإسلامية أن تتحد تحت زعامة السلطان العثماني الذي يقود حرب التحرير ضد القوى الامبريالية الاستعمارية. وهكذا يتضح الاختلاف في مواقف فريد وتصريحاته في تلك الفترة الحاسمة عن

الفترة التي سبقت الحرب؛ فقد عقد آماله، وربط مصيره بالقدرة العسكرية للجيش التركي، في إخراج انجلترا من مصر.

ثانياً – المعارضة المصرية وألمانيا بين الواقع السياسي والوثائق السرية

١ – الحزب الوطني وألمانيا

سبق الحديث عن قلة المصادر التي توثق للسنوات الأولى من فترة هذه الدراسة، التي تضمنت علاقات الحزب الوطني بألمانيا وتركيا قبل عام ١٩١٧، وعلى وفرة الوثائق البريطانية الخاصة بالفترة ذاتها، والتي غالبا ما تناولت الخطط البريطانية وما كان يحدث من تطورات داخل مصر، وعلى الرغم من أن الباحث السويسري إريك تريفتزجير قد قدم أفضل دراسة تناولت هذه الفترة، وزودها بمادة علمية قيمة، فإن بعض جوانب هذه الفترة قد أهمل لأسباب غير معروفة. ولعل تريفتزجير قد أهمل الحديث عن جوانب معينة بسبب افتقار الأرشيف السويسري للوثائق الداعمة. ومن الأعمال الأخرى التي تحدثت عن اتصالات محمد فريد السياسية بتركيا وألمانيا، وساهمت في بناء هذه الدراسة، مذكرات محمد فريد، ودراسة محدودة كتبها رؤوف عباس حامد، وأخرى كتبها لوتار راتمان، وكتاب عبد الرحمن الرافعي، وقد أسهمت تلك الدراسات إلى حد ما في تصحيح الأخطاء، وكشف الغموض عن النشاط الإعلامي للوطنيين المصريين، وتقارب مواقفهم من المواقف التركية والألمانية، والذي نتج عنه قيام السلطات السويسرية بإغلاق متكرر لصحفهم ومجلاتهم ونشراتهم، ومنع بعض فعالياتهم، وغالبا ما كان ذلك مثار نقاش بينهم، وأدى مع أسباب أخرى، إلى انتقال فريد من سويسرا إلى ألمانيا في مطلع عام ١٩١٧.[٣٩]

[39] سوف نتطرق إلى هذا الموضوع في سياق هذه الدراسة.

٢ – دوافع تبني فريد لتوجهه السياسي

ونقصد بذلك تلك الدوافع والأسباب التي جعلت فريد يتبنى ذلك التوجه، ويقوم بتلك الأعمال الدعائية والنشاطات السياسية العلنية، التي ربط فيها خلاص مصر من الاستعمار الانجليزي، بانتصار تركيا وألمانيا في الحرب، واعتقاد المعارضة المصرية بضرورة وجود دعم سياسي وشعبي مصري لكل القوى العسكرية والسياسية، القادرة في نظرهم على إضعاف الانجليز. وإن كان ثمة من وصف تلك المواقف والتصورات بالهشاشة والضعف، ورأى بأن فريدا وأتباعه الذين كانوا حينها ينتمون إلى جيل عربي معارض للاستعمار يتعلقون بأوهام وآمال كاذبة، فهم يتصورون بأن بإمكانهم الحصول على الحرية والاستقلال، فيما لو تم طرد الاستعمار البريطاني والفرنسي من بلدانهم بمساعدة ألمانيا القيصرية وحليفتها الدولة العثمانية، ومن هذا المنطلق فإن مفاهيم المعارضة المصرية تنطلق من وازع وطني خلق لديهم تصورات برجماتية ساذجة، متعلقة بالمثل القائل "عدو عدوي صديقي."[٤٠] وعلى الرغم من تخوف المعارضة المصرية وشكوكها القوية من طموحات قادة الدولة العثمانية تجاه مصر، فقد استمرت في دعمها للتحالف التركي الألماني. ومن هذا الباب يأتي ما كتبه محمد فريد في صحيفة "صدى مصر" حيث رد على الإشاعات البريطانية المتهمة لتركيا بأنها تنوي إعادة مصر –بعد تحريرها– تحت النير العثماني القديم.

وفي نطاق ذلك التعارض بدت مسألة الحكم الذاتي المطلق ضعيفة عند فريد، حتى أنه لم يصرح بأن خطة الهجوم التركي ستكون في صالح مصر. ومنذ

[40] Höpp, Gerhard: Die ägyptische Frage ist in Wirklichkeit eine Internationale: Zur politisch-publizistischen Tätigkeit ägyptischer Antikolonialisten in Berlin (1918-1928). In: Asien, Afrika, Lateinamerika. Bd. 15. Heft 1, Berlin (DDR), 1987. S. 87-98, hier S. 87.

ذلك الحين، أصبحت تلك المسألة مثاراً للتساؤل. كما أصبح من المعروف أن تعاون الحزب الوطني مع تركيا قد فرضته سياسة برجماتية محدودة الزمن؛ ففي مؤتمر الحزب الوطني، الذي عقد في جنيف، في الفترة من ١١-١٢ ديسمبر ١٩١٥، برئاسة محمد فريد، تم تحديد برنامج الحزب، الذي اعتبر أن هدفه الأول والأسمى هو النضال من أجل استقلال مصر، ورفض استبدال الحكم البريطاني بأي حكم أجنبي آخر،وقد وصف المشاركون في ذلك المؤتمر، الحكومة المصرية الخاضعة للاحتلال الانجليزي بأنها لا تمثل الشعب المصري بل تخونه.[٤١]

وإذا ما نظرنا إلى ذلك البيان السياسي الواضح وقارناه بالمنشور سالف الذكر، فإنه يمكننا، ولو بصورة آنية، استقراء بعض صفات محمد فريد السياسية، التي تبدو وكأنها خليط معقد من تصورات وأفكار وطنية وبرجماتية واقعية، حاولت البحث عن قواسم مشتركة بين قوتين غير متفقتين وتوحيدهما.

فما هو إذاً ذلك التصور، الذي سيقود إلى تحرير مصر من القوى الأجنبية، الذي لن يتحقق إلاّ بمساعدة من قوى أجنبية، متمثلة في التحالف الألماني التركي؟! ففي حين أن تركيا، التي تدعي أن لها حقوقا تاريخية في مصر، لم يكن بمقدورها أن تفعل أي شيء لها من غير مساعدة من قوى المعارضة. وقد كان فريد على وعي بأن القوى الأجنبية تعاني من أزمة فيما بينها حول مصر، وتجد صعوبات في التعامل مع المعارضة المصرية، فتمكن من استغلال تلك الظروف لعرض توجهاته السياسية، وكان يضع نصب عينيه، أن محاوريه على علم بتلك المواقف المحرجة، فساعده ذلك بأن تنسجم مواقفه مع سياسة الألمان.

[41] الرافعي: محمد فريد رمز. ص. ٣٥٣ وما بعدها.

٣ – رغبة فريد في الهجرة من سويسرا إلى ألمانيا

يحتفظ الأرشيف السياسي للخارجية الألمانية، بالكثير من المراسلات السرية بخصوص هجرة فريد إلى ألمانيا، والتي توثق بصورة خاصة لقصة محاولات محمد فريد الحصول على تأشيرة للدخول إلى برلين. وقد قللت بعض من تلك الوثائق من أهمية زعيم الحزب الوطني، لدى الألمان. وبعد الفحص الذي أجريناه لتقييم كل الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع، تبين أن محمد فريد قدم طلبات متكررة للحصول على تأشيرة، من نوفمبر ١٩١٦ إلى يناير ١٩١٧، فالوثيقة الأولى تتضمن استفساراً بعث به رئيس البعثة الدبلوماسية الألمانية في جنيف إلى برلين، في ١٤ نوفمبر ١٩١٦، ذكر فيه أن محمد فريد بيك، رئيس الحزب الوطني المصري، ابلغ مستشار المفوضية السيد ماروم، أنه يرغب في التوجه إلى برلين، في شهر ديسمبر ١٩١٦، لإجراء مقابلات مع سياسيين في وزارة الخارجية الألمانية، ومناقشة بعض القضايا السرية والمعلومات المهمة معهم، وطلب المفوض من خارجية بلاده تعليمات بما يجب عليه عمله، "نحو ذلك الشخص المصري، الذي يحمل جواز سفر تركي، وعما إذا كان جوازه التركي، يفي بمتطلبات منحه تأشيرة دخول إلى ألمانيا"،[٤٢] وذكر كاتب التقرير أنه قد سبق لمحمد فريد أن أجرى محادثات مع شخصيات رسمية ألمانية رفيعة المستوى. مضيفاً ما يعرفه عن مواقف سفير تركيا في برن، وقنصلها العام في جنيف، تجاه محمد فريد، ومنها أن فريدا لم يعد يحض بثقة الأتراك بعد أن استلم من الحكومة التركية مبلغا ماليا كبيرا لإنفاقه في أغراض دعائية، ولم يقم بصرفه حسب الاتفاق.[٤٣]

---

[42] PAAA 15050, S. 1. KDG, Bern, an RK 14.11.1916. من سفير ألمانيا في بيرن إلى المستشار الألماني.

[43] PAAA 15050, S. 1.

٤ – فضيحة يكن باشا وعلاقتها بسفر محمد فريد

وفي وثيقة أخرى مكتوبة بخط اليد، ومؤرخة في ١٩١٦/١١/٢٤، يرد أن "فضيحة يكن باشا" كانت السبب الذي جعل محمد فريد يسرع في مغادرة سويسرا،[٤٤] لأن ما أفرزته التحقيقات المختلفة والمتشابكة المتعلقة بتلك الفضيحة، قد حولت فريد إلى شخص شديد العصبية، وحاد المزاج، لذلك فضل مغادرة سويسرا لبعض الوقت. وفي أثناء معاملته للحصول على تأشيرة دخول، أفادت بعض التقارير، أن فريدا زود الألمان بمعلومات مهمة، تم اعتبارها دليلاً على حسن نيته، ولكن تلك التقارير لم توضح ماهية تلك المعلومات. وما ينبغي الإشارة إليه أن الجهات الرسمية الألمانية، كانت باستمرار تتعامل مع فريد، بقدر كبير من السلوك الدبلوماسي الراقي، عند الإجابة على طلباته، حيث لم يرفضوا سفره بشكل واضح، بل طلبوا منه أن يتمهل، متذرعين بحجج سياسية غير مقنعة، كقولهم بأن سفره إلى ألمانيا، سوف يسئ إلى سمعته ويضر بمكانته في سويسرا، وفي ألمانيا سيكون من الصعب عليه الحصول على معلومات قيمة عن مصر، بينما يمكنه الحصول على ذلك وهو مقيم في سويسرا. وبخصوص المعلومات، التي ذكر أن فريدا يريد توصيلها إلى السياسيين الألمان، ردوا عليه من برلين، بأنه يستطيع إبلاغها إلى البارون رومبيرج، الذي سينقلها إليهم.[٤٥] ومما سبق يتضح أن المواقف السلبية للدبلوماسيين الأتراك، تجاه فريد، كانت السبب الرئيسي في رفض الألمان منحه تأشيرة دخول إلى برلين، وليس لخوفهم على سمعته ومكانته، لأن ذلك غير وارد من الناحية الفعلية.

لم يتوقف فريد عن مطالبه، كما لم تنقطع مراسلات البعثة الألمانية في

---

[44] راجع التفاصيل في دراسة الباحث الخاصة بالخديوي عباس حلمي الثاني

[45] PAAA 15050, S. 5. 24.11.1916.

سويسرا مع خارجية بلادها في برلين، ففي ١٩١٦/١١/٢٨، بعثت الخارجية الألمانية برسالة إلى سفارتها في سويسرا، تضمنت عدم موافقتها منح فريد تأشيرة دخول إلى برلين، بحجة أنه سوف يفضح نفسه في سويسرا، من دون أن يكون لذلك ضرورة.[٤٦] وفي مناسبة سابقة ذكر أن فريدا يريد السفر إلى ألمانيا من أجل الحصول على دعم فقط، وهو أمر لم يرغب الألمان في القيام به بصورة علنية، كما كان للألمان مبررات أخرى، استدعت رفض سفر فريد؛ أهمها الاضطرابات الدائرة بين الشرقيين من رعايا الدولة العثمانية المقيمين في غرب سويسرا، ومن في حكمهم، والتي أفرزتها "فضيحة يكن باشا".[٤٧]

من كل ذلك يتضح أن الألمان، لم يكونوا راغبين في سفر فريد إلى برلين، دون الإفصاح عن الأسباب الحقيقية لذلك الرفض، وأما الأسباب التي تذرعوا بها، فإنها لم تكن ألمانية صرفة؛ ذلك أنها ترجع، في المقام الأول، إلى معارضة الأتراك، ثم إلى الحجة التي ساقها الألمان – إن كانت حقيقية– وهي أن ذلك الانتقال إلى ألمانيا سوف يشوه سمعة فريد في سويسرا بين المصريين. ومع ذلك، فالوثائق لا تحمل إجابات مقنعة لذلك الرفض بحيث يمكن البناء عليها.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين حاولوا تفسير ذلك الرفض، في إطار تناولهم لموضوعات أخرى، مختلفة في الزمان والمكان، وذهبوا إلى القول إن الوطنيين المصريين لم يفهموا ما كان لدى الألمان من أولويات كثيرة، داخلية وخارجية، تشغلهم عن الاهتمام بمشاكل مصر والمصريين.[٤٨] وعلى الرغم من سطحية تلك الاستنتاجات، وارتباطها بأحداث عام ١٩١٨، المتأخرة نسبياً عن الفترة

---

[46] PAAA 15050, S. 5.
[47] PAAA 15050, S. 8.
[48] PAAA 15050, S. 9. U. Hamed, Rauf A.: Germany and the Egyptian Nationalists. S. 23.

قيد النقاش، فإنها تعطي رؤية قريبة، يمكن ربطها بما كان يشاع في الخفاء، عن وجود اتصالات بين الألمان والخديوي عباس حلمي الثاني،[49] وما كان يذكر من أن ثمة تغيرا مفاجئا طرأ على علاقات الطرفين، رمز إليه بالمصطلح القانوني اللاتيني mutatis mutandis مراعاة ما يقتضيه الحال من تغير.

والذي يبدو غريبا في الأمر، أنه لم يكن لدى الألمان، تَصورات واضحة ومواقف وسياسات ثابتة يتبعونها تجاه القضية المصرية، ليس فقط مع حكام مصر السابقين، بل أيضاً مع المعارضة المصرية في المهجر. وعند قيام الحرب العالمية الأولى أصبحوا مجبرين على التعامل مع تلك التطورات حتى يتسنى لهم اتخاذ القرارات المناسبة. ويمكن اعتبار أن ذلك التردد كان نابعا من الضعف في مصادر معلومات الألمان الرئيسية. هذا مع التسليم بإمكانية وجود أسباب أخرى عملت على عرقلت سفر فريد إلى ألمانيا بعض الوقت.

٤ – هجرة فريد من سويسرا إلى ألمانيا

على الرغم من محاولات الألمان المتكررة، التي قُصِدَ بها إعاقة فريد من السفر، فقد تمكن في نهاية الأمر من مغادرة سويسرا إلى ألمانيا. يومها بعث القنصل العام الألماني في جنيف برسالة تقول "إنه على الرغم من كل النصائح التي قدمت لفريد، بعدم السفر إلى ألمانيا، فقد غادر سويسرا فجر يوم ١٩١٧/١/٢٣ وعبر حدود مدينة جوتمارنجن الألمانية يوم ١٩١٧/١/٢٥.[50] وذكرت وثيقة خطية

---

[49] عباس حلمي الثاني مولود في الإسكندرية بتاريخ ١٨٧٤/٧/١٤، خديوي مصر [نائب السلطان] من عام ١٨٩٢ إلى عام ١٩١٤. عزله الانجليز من منصبه ومنعوه من العودة إلى مصر، وعاش في المهجر حتى وفاته في جنيف في ١٩٤٤/١٢/٢٠. Meyers G.: T.L. Bd.1. 2001. S. 11

[50] PAAA 15050, S. 83.

أخرى، أنه قد تم التوضيح لفريد، بأن مغادرة ألمانيا لم تعد أمرا سهلاً، مثلما كان الحال في الماضي؛ ذلك أن قوانين الحرب تلزم طالبي المغادرة الحصول على إذن مسبق من السلطات الخاصة بالسفر.[٥١] وعلى الرغم من حصوله على تأشيرة دخول وسفر إلى ألمانيا، فإن كتابة التقارير المفسرة لأسباب وأهداف مغادرته لم تتوقف. ففي نفس اليوم الذي وصل فيه فريد إلى ألمانيا، كتب Jakobi ياكوبي، –المخبر السري لدى البعثة الألمانية في سويسرا– تقريراً بتاريخ ١٩١٧/١/٢٥ ذكر فيه أن الهدف الرئيسي، من سفر فريد إلى ألمانيا، هو مقابلة جاويد بك سفير تركيا في برلين.[٥٢]

وقد سبق أن ألمحنا إلى أن الخلاف حول سفر فريد إلى ألمانيا يكشف عن مدى ما كان يحظى به رئيس الحزب الوطني من مكانة لدى السلطات الألمانية. وترجع المصادر المصرية البدايات الأولى للاتصالات السياسية بين الوطنيين المصريين في المهجر والجهات الألمانية إلى سبتمبر ١٩١٤، عندما عرضت ألمانيا على فريد استعدادها لتزويد الوطنيين المصريين بالسلاح والخبراء العسكريين، في حال قيامهم بثورة ضد الإنجليز.[٥٣] ويظهر جليا أن ذلك العرض قد أنعش آمال فريد في الاعتماد على مساعدتهم مستقبلاً، وحتى ذلك الحين لم يكن يعلم أن تلك الوعود يمكن أن لا تتحقق، وخصوصا بعد تلميح المستشرق والدبلوماسي الألماني فيسندونك لمحمد فريد، عن إمكانية إرسال وحدات عسكرية مشتركة إلى مصر. وفي نفس الوقت كانت تيارات المعارضة المصرية تعتقد أن بإمكان ألمانيا التأثير

---

[51] PAAA 15050, S. 83. u. Goldschmidt, Arthur: The Memoirs and Diaries of Muhammad Farid. S. 403f. لم يكن المنع من السفر إلى خارج ألمانيا مقصوراً على فريد فقط، فقد سبق ومنع منصور رفعت من عبور الحدود إلى سويسرا عدة مرات في تلك الفترة.

[52] PAAA 15050, S. 94.

[53] Hamed, Rauf A.: Germany and the Egyptian Nationalists. S.18.

إيجاباً على حليفتها تركيا، وعلى رموز الاتحاد والترقي الحاكم، وإقناعهم برغبات المصريين في الحصول على الحكم الذاتي، وهذه المسألة الجوهرية تناولها محمد فريد في مذكراته في عدد من المواضع.[٥٤] وفي أكثر من موضع من هذه الدراسة، تم الحديث عن دعم ألماني محتمل لخطط تؤدي إلى قيام ثورة أو انتفاضة ضد نظام الحكم في مصر، ربما تم الاتفاق بشأنها بين فريد والخديوي من جهة، وجمعية الاتحاد والترقي من جهة أخرى، وقد كان من المزمع تنفيذها في أكتوبر ١٩١٥، بحسب ما ترويه الوثائق السرية البريطانية، التي استندت على معلومات – قدمها لها الأمير عزيز حسن، الموالي للانجليز– والتي تفيد بأن الأطراف المذكورة كانت متفقة، على القيام بانتفاضة في مصر، متزامنة مع بدأ الهجوم الألماني–التركي المزمع على قناة السويس، وعلى أن يتم اعتقال الأعضاء الرئيسيين في الحكومة المصرية، واغتيالهم إن أمكن.[٥٥] "Disturbance should break out in Egypt, and the principal members of the country's present Government be, if possible, assassinated".

وأضافت تلك الوثائق أن الأمير عزيز حسن، كان عميلا مزدوجا، للإنجليز والألمان في نفس الوقت، وطبقا لما ورد في تقرير المخبر الانجليزي A. Harding. "فإن عزيز حسن، كان مراقباً بصورة مستمرة، من قبل الجواسيس الألمان، وبأنه قد وضع قدماً وبعض أصابع القدم الآخر في المعسكر الألماني".[٥٦] وقد قام بنقل تلك المعلومات مسئول الاتصالات الخاص بين عزيز حسن وقوى

[54] Goldschmidt, Arthur: The Memoirs and Diaries of Muhammad Farid. S. 250, 264 u. 273.
الدبلوماسي الألماني فون فيسن دونك، كشف عن وجود مشروع تدعمه ألمانيا، يرمي إلى إصدار صحيفة باسم "الجهاد" تنشر بجميع لغات العالم الإسلامي، وتوزع مجاناً على أسرى الحرب المسلمين لديها.
[55] Vgl. FO 371/2357, S. 1. 25.10.1915.
[56] Vgl. FO 371/2357, S. 1. 25.10.1915.

المحور. وفي السياق ذاته تحدث صحفي أسباني- كان قد أُبعِدَ عن مصر حينها- محاولاً تفسير الأسباب، التي جعلت ذلك الأمير عزيز حسن يتعاون مع الانجليز، ويبلغهم عن أي مخطط تأمري تحيكه المعارضة ضد الحكومة المصرية التي شكلها الانجليز، مرجعا ذلك إلى أنه كان يخشي من أن نجاح تلك الخطط سوف يؤدي إلى إعادة السيطرة التركية على بلاده. وقد أبلغهم، أيضا، أن الخلافات والنزاعات بين تيارات المعارضة المصرية سوف يتم تجاوزها، فور قيام الانتفاضة، التي سيتزعمها محمد فريد، بصفته الرأس المدبر لكل تلك المخططات، على عكس ما كان عليه الوضع في خريف ١٩١٤، عندما تم حسم الخلاف على أحقية المركز الأول في قيادة النضال من أجل تحرير مصر، لصالح الخديوي عباس حلمي الثاني، الذي رفض التنازل عن ذلك الحق، ووافق محمد فريد على ترك قيادة المقاومة ضد البريطانيين للخديوي، بناءً على مساعي قام بها عدد كبير من رموز المعارضة المصرية، الذين كانوا حينها يعتقدون بأن الخديوي لا يزال يتمتع بتأيد شعبي واسع، وأنه من المفيد الاستفادة منه في قيادة تلك المقاومة. ويبدو أن الخلافات بين تيارات المعارضة المصرية قد تتسبب في عرقلة قيام انتفاضة حقيقية في مصر، ففي رسالة كتبها فانجن هايم، سفير ألمانيا في اسطنبول، قال فيها: "إن كل المؤشرات تدل على أن الوطنيين المصريين، يفتقرون إلى الهمة، وأنهم غير مستعدين للتضحية، من أجل القيام بانتفاضة مستقلة".[٥٧] وتضيف بعض الدراسات، أن فريدا كان لديه الكثير من المخاوف من أتباع جمعية الاتحاد والترقي التركية، ويعتقد أن لديهم سياسة خفية، تهدف إلى عودة مصر تحت الحكم العثماني من جديد، في حال نجاح تلك الانتفاضة.[٥٨] وبعد حصول فريد على وعد بدعم عسكري

[57] Rathmann, Lothar: Ägypter im Exil 1914-1918. S. 10.

[58] هذه المعلومة أوردها رؤوف عباس حامد من مذكراتي بعد الهجرة لمحمد فريد، النسخة العربية. انظر: ص. ١٨ وما بعدها.

ألماني دفع بالخديوي، أثناء إقامته في سويسرا، إلى أن يقيم اتصالات سياسية مع الألمان، يحثهم فيها على تأمين السلاح، وغيره من المتطلبات اللازمة، لمساعدة ودعم المقاومة الوطنية المصرية. لكن الخديوي كان يخاف أن يعلم الانجليز بأخباره واتصالاته مع دول الوسط، فيردون عليه بمصادرة أملاكه وأمواله في مصر، لذلك لم يلزم نفسه بأي عمل محدد أمام أي جهة، وفضل أتباع سياسة المراوغة، Politik des Lavierens التي كان يتقن لعبها.[٥٩]

وفي نهاية المطاف أخذ محمد فريد الأمر على عاتقه شخصياً، وأجرى محادثات مع ممثلين سياسيين ألمان، ويعد السيد تسيمرمان أول شخصية رفيعة المستوى في وزارة الخارجية الألمانية تباحث معها فريد. وفي تلك المحادثات، طلب فريد من الألمان أن يستخدموا نفوذهم من أجل الضغط على الحكومة التركية وقاداتها لكي يصدروا"Declaration of Intentions" بيانا أو تصريحا رسميا يضمن لمصر حقها في تقرير مصيرها مستقبلا،وقد كان ذلك المطلب نابعا من تخوف محمد فريد مما يشاع من أخبار عن الوزير الأول سعيد حليم باشا، والتي تفيد أنه كان يسعى للحصول على منصب الخديوية في مصر، حتى أنه لم يكن يهتم بمساعدة المعارضة الوطنية المصرية، ولم يكن فريد هو الوحيد في تخوفه ذاك؛ بل إن الخديوي عباس حلمي الثاني كان يتوجس من تصرفات سعيد حليم باشا. صحيح أن الوثائق الألمانية والبريطانية لم تتحدث بوضوح كبير عن تلك الاتهامات الموجهة ضد سعيد حليم باشا، لكن دراسات مصرية تحدثت عنها كثيراً، مما يؤكد صحة نوايا سعيد حليم تجاه مصر. وأثناء محادثاته مع تسيمرمان، في يناير من عام

---

[59] Hamed, Rauf A.: Germany and the Egyptian Nationalists. S. 18. راجع دراسة الباحث عن الخديوي التي احتوت على أمثلة كثيرة لذلك

١٩١٥، حذر فريد السياسيين الألمان، من سعيد حليم، وقال لهم إنه يعرض التحالف الحربي التركي-الألماني للخطر، ويسعى إلى كسب ود الإنجليز. وفي سياق هذه الدراسة تم التعرض إلى تلك المواقف.[٦٠]

وعندما ايقن أن هناك ضرورة ملحة لصدور Ottoman declaration- "irada suniyya" تصريح أو قرار عثماني؛ جدد محمد فريد طلبه -في لقاء آخر له مع الساسة الألمان- أن يضغطوا على تركيا، وأن يدفعوا بها إلى إصدار هكذا تصريح، حول أحقية مصر في الاستقلال، وقد وعدوه بقيامهم بذلك. وفي فبراير من عام ١٩١٥ صدر ذلك التصريح من قبل السلطان العثماني محمد الخامس، وتأكد فريد من يومها أن بإمكان الألمان ممارسة نفوذهم واستعمال مكانتهم الكبيرة لدى الأتراك، ولعله من حينها قرر أن يقوم بتوظيف ذلك لمصلحة الحركة الوطنية المصرية. ومن جانبهم سعى الألمان إلى توظيف المعارضة المصرية في الخارج والمقاومة في الداخل لصالح الهجوم المزمع القيام به ضد القواعد العسكرية البريطانية في قناة السويس.[٦١] وهكذا اتضحت الأهداف الكامنة من وراء تكثيف الألمان اتصالاتهم مع مختلف قوى المعارضة المصرية في المهجر، وأن وعودهم بمساعدة تلك القوى، لم يكن يقصد بها سوى خدمة إستراتيجيتهم العسكرية وأهدافهم في تقوية مواقعهم وخططهم الهجومية، وأن دعمهم للمقاومة المصرية على الأرض لم يكن يقصد به دعم أهداف الوطنيين المصريين بحد ذاتها، بل خدمة الهدف الأهم في ذلك الوقت، وهو القتال من أجل قناة السويس التي كانوا يخططون لاحتلالها.[٦٢]

---

[60] إضافة إلى الوثائق السرية، ورد في مصادر متعددة ما يفيد أن سعيد حليم طلب أموالا من الانجليز للتحالف معهم ضد دول الوسط.

[61] Hamed, Rauf A.: Germany and the Egyptian Nationalists. S. 19.
[62] Hamed, Rauf A.: Germany and the Egyptian Nationalists. S. 20.

وإذا توسع أفق الباحث في فهم ما احتوته دراسات أخرى تناولت الدور السياسي للخديوي عباس حلمي في المنفى، فسوف يجد في هذا التقييم قدراً من المصداقية. وفي ضوء ذلك يفهم أن تردد الألمان في منح فريد تأشيرة دخول، يوضح أن طموحات ومطالب وأهداف الوطنيين المصريين، لم تكن تحظى بأهمية كبيرة لدى الألمان. فقد كان الاهتمام من الناحية العملية ضئيلا جدا على عكس الصورة النظرية التي كانت مختلفة تماما؛ وخاصة إذا ما تم تصديق ما صرح به دبلوماسيون ألمان أمام محمد فريد في إحدى اللقاءات التي دارت بينهم وبينه، حيث أوضحوا له بأن لألمانيا سلسلة من الأهداف والاهتمامات في دعمها للمصريين، وبأن هدفها الرئيسي هو تحرير مصر من الاحتلال الإنجليزي، وإتاحة الفرصة للمصريين لتنظيم انتخابات حرة في مصر. وانطلاقا من تلك الوعود والآمال طالب فريد مختلف التيارات الوطنية في مصر أن تتوحد لكي يتم تزويدها بالسلاح، الذي كان يعتقد أنهم سيحصلون عليه من الألمان. وأيضاً تحدث فريد مع فيسندونك، رئيس دائرة الشرق الأوسط في الخارجية الألمانية حول إمكانية تهريب السلاح إلى مصر،[٦٣] وفي اسطنبول تحدث السفير الألماني في تركيا فانجينهايم Wangenheim مع محمد فريد موضحاً أولويات المصالح الألمانية، والتى يأتي في مقدمة أهدافها تحرير مصر من الاحتلال البريطاني وهي مع محمد فريد مع السفير الألماني في اسطنبول السيد فانجينهايم والذي تحدث معه عن وسائل وطرق تهريب السلاح إلى مصر، وتنظيم العلاقة مع المقاومة المصرية.

في السياق ذاته حصل فريد على دعم كبير لمطالبه من سياسيين وعسكريين ألمان يحتلون مراكز كبيرة في الدولة، ومن بينهم البارون فون كابيللا Von

[63] Hamed, Rauf A.: Germany and the Egyptian Nationalists. S. 19f.

Capelle، سكرتير الدولة لشئون القوات البحرية والأسطول الألماني، والذي نصح وزارة خارجية بلاده بأن تدعم توجهات فريد بقوة.[٦٤] وحصل أيضاً على دعم من مستشار الرايخ الألماني Bethmann Hollweg بيتمان هولفيج، الذي كتب في سبتمبر ١٩١٤ "أن كل الإجراءات ضد قناة السويس، لها قيمة لا يمكن قياسها حالياً".[٦٥] وبسبب الأهمية الكبيرة لتلك القناة، أكد المستشار هولفيج، على ضرورة الحصول على كل المعلومات، والقيام بجميع الاستطلاعات اللازمة لمساعدة تركيا وأصدقاء ألمانيا، قبل القيام بأي عمل حربي. لقد كان من شأن تلك الإجراءات الاحترازية بما تضمنته من تردد وتأخير من قبل الألمان أنْ دفعت بفريد لمعاودة التفكير حول موقف الألمان والتشكيك في جديتهم بخصوص الهجوم على قناة السويس، إلى درجة أنه عبر مراراً عن إصابته بالإحباط؛ لأن الألمان لم يترجموا وعودهم وأقوالهم على أرض الواقع إلى أفعال حقيقية.[٦٦] وما زاد من قوة ذلك التوجه، المتعلق بتفسير تلك المواقف، أن فريدا ذاته، قد دون انطباعاته واستنتاجاته في مذكراته، التي كتبها في خريف عام ١٩١٥، فقد ذكر أن الألمان لن يدعموا المحاولات المصرية الرامية إلى الاستقلال عن تركيا أبدا؛ لما للأخيرة من أهمية كبيرة وتأثير قوي في الشرق الأوسط، وفي نظر الألمان أيضاً.[٦٧] فهل كان محمد فريد محقاً في تلك الشكوك التي توصل إليها؟

إن الإجابة على هذا التساؤل، يمكن أن تُستخرج من مضمون وثيقة ألمانية، تتحدث عن محاولة تأسيس اتحاد إسلامي في برلين في بداية أكتوبر ١٩١٥.

---

[64] Rathmann, Lothar: Ägypter im Exil 1914-1918. S.

[65] Rathmann, Lothar: Ägypter im Exil 1914-1918. S. 18.

[66] Hamed, Rauf A.: Germany and the Egyptian Nationalists. S. 20.

[67] السعيد، رفعت: تاريخ الحركة الاشتراكية. ص. ٣٨.

وتتضمن، أيضا، أن الشيخ عبد العزيز جاويش، كان يسعى إلى تحقيق ذلك، وقد أثر فيه كل من محمد فريد وإسماعيل لبيب وعباس طلعت، وكان من المزمع أن تنضوي تحت مظلة ذلك الاتحاد جمعية الشبيبة المصرية، وكل المسلمين في أوروبا، حتى يتمكنوا من الوصول، إلى الأهداف، التي يسعون إلى تحقيقها في مباحثات السلام القادمة.[٦٨]

وقد جعلت تلك التحركات والفعاليات والمناقشات محمد فريد يتوصل إلى أفكار جديدة، ظن من خلالها أنه قد يكون مفيداً لوتم التوقف مؤقتاً عن محاولة إخراج الإنجليز من مصر، ثم التباحث معهم من أجل تغيير الدستور.[٦٩]

وقد اتضحت المواقف الألمانية المترددة تجاه دعم المقاومة المصرية أثناء المباحثات الجديدة التي أجراها فريد مع الدبلوماسي تسيمرمان في يناير ١٩١٥م. ومع ذلك تقدم فريد بمقترحات تهدف إلى زيادة التعاون بين الطرفين، وتمهل الألمان في بداية الأمر، احتراماً منهم للمصالح التركية في سوريا، وفي الأخير تم رفض مقترحات فريد نهائيا. وبعد فشل حملة قناة السويس، ضعف اهتمام الألمان بالمسالة المصرية بشكل كبير، وقلّتَ اتصالاتهم مع فريد، ومع باقي أطراف المعارضة المصرية إلى أدنى حد.[٧٠]

وإذا تصورنا أن خطة الهجوم التركي الألماني على القوات البريطانية في قناة السويس، قد تمت وتكللت بالنجاح، فمن الطبيعي أنها كانت ستغير من مجريات

---

[68] Rathmann, Lothar: Ägypter im Exil 1914-1918. S. 13. u. S. 22. حول هذا الموضوع عبرت وكالة أنباء الشرق الألمانية عن موقفها من المشروع المصري بالقول: يجب أن لا ننسى أن نعبر بوضوح "وبحدة، أن تركيا هي القوة الإسلامية الشرعية الوحيدة".

[69] السعيد، رفعت: تاريخ الحركة الاشتراكية. ص. ٣٨.

[70] Vgl. Hamed, Rauf A.: Germany and the Egyptian Nationalists. S. 20f.

الحرب العالمية الأولى ومن نتائجها. وقد قضت تلك الخطة بإرسال حملة عسكرية مشتركة تركية ألمانية، تنطلق من دمشق، وهدفها ليس فقط تحرير القناة، وإنما مصر بأكملها، لكن تلك الحملة لم تحقق أي نتيجة كما وصفها المؤرخ الألماني والخبير في الشئون المصرية، فون فيستفالن، والذي عاصر الأحداث وكتب عنها، وقال إنّ المسألة لم تنته بفشل الحملة فقط، لأن الانجليز كانوا من جانبهم يخططون للهجوم على فلسطين[٧١]، وهو ما تم تحقيقه فعلاً، خاصة عندما شارك أشراف الحجاز في تلك الحرب، وتحالفوا مع الانجليز ضد الدولة العثمانية، وساهموا في وقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، الأمر الذي مهد لقيام دولة إسرائيل فوق ارض فلسطين فيما بعد. وقد بدأ مسلسل التعاون بين أشراف الحجاز والبريطانيين، بمحادثة الحسين مكماهون عام ١٩١٥، والتي تمخض عنها قيام الأشراف "بثورتهم الكبرى!!" التي عاصرت اتفاقية سايكس – بيكو عام ١٩١٦، ثم صدور وعد بلفور عام ١٩١٧، واحتلال فلسطين وهزيمة دول الوسط في تلك الحرب، وحينها وقعت الدولة العثمانية مكرهة على اتفاقية مودرروس الخاصة بوقف إطلاق النار عام ١٩١٨، وما تبع ذلك من اتفاقيات ومعاهدات أهمها فرساي وسيفرس ولوزان، والتي تمخض عنها فرض ما عرف بنظام الانتداب، وتقسيم أملاك الدولة العثمانية في المشرق العربي، إلى حد كبير طبقاً لخطة سايكس- بيكو المشار إليها. وفي

---

[71] Westphalen, C. Graf von: Die Staats- und Völkerrechtliche Stellung Ägyptens. Diss. 1930. S. 52f. أثناء الحرب العالمية الثانية، خططت القوات الألمانية للهجوم على مصر عن طريق سوريا بعد الانتهاء من حملة "بربروسا" ضد الاتحاد السوفيتي، إلى جانب الحملة العسكرية، التي كانت قد بدأت فعلا في شمال أفريقيا، ولكنتلك الخطط لم تتحقق بعد تراجع حملة بربروسا، وفشل التدخل الألماني في العراق، وسقوط حكومة رشيد عالي الكيلاني، وهزيمة ايطاليا وخروجها المبكر من الحرب. راجع دراستنا: سياسة ألمانيا في المشرق العربي ١٩٢٢-١٩٤٥ في: مجلة الآداب، جامعة بغداد، عدد ٢٠٠٦/٧٣. ص. ١-٥٣. ص ٣٣-٤٥.

يوليو من عام ١٩٢٠ تم تعيين أول مندوب سامي [حاكما] لفلسطين، وبضغط من اللوبي الصهيوني وقع الاختيار على السير هربرت صموئيل، انجليزي الجنسية، صهيوني السياسة، يهودي الديانة، من حزب الأحرار البريطاني، وأحد صانعي تصريح بلفور، وقد وضع في ذلك المنصب لينشئ الوطن القومي اليهود، ويرسى لهم قواعد الدولة اليهودية. أهتم صموئيل مع من خلفه في ذلك المنصب بإعداد فلسطين وتجهيزها لموجات الهجرة اليهودية من جميع أنحاء العالم، حتى تم لهم تشكيل الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨، والتي أخذت على عاتقها مسألة تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، على حساب أصحاب الأرض الحقيقيين. وهكذا فقد ساهم أشراف الحجاز بغباء مقصود أو غير قصد، ومن لف لفهم من أعراب شرق الأردن، في ضياع فلسطين وتشريد شعبها، وتأمين الحماية الدائمة لدولة إسرائيل. هذا؛ وقد سبق وأنْ قمنا بشرح وتوضيح معوقات وملابسات سفر فريد إلى ألمانيا، نهاية عام ١٩١٦. كما عرضنا بعض الأمثلة الدالة على تذبذب السياسة الألمانية، والكيفية التي لجأ إليها فريد لتفسير تلك المواقف؛ وخلاصة ذلك أنه رأى أنها نابعة من حرص الألمان على تعزيز علاقاتهم بالدولة التركية، ممثلة بجمعية الاتحاد والترقي.[٧٢]

وبعد أن تمكن فريد من السفر إلى ألمانيا في بداية عام ١٩١٧ قابل السيد تسيمرمان، الذي أصبح حينذاك وزيرا للشؤون الخارجية، وناقش معه أهمية الدعم الألماني للمسألة المصرية في مباحثات السلام القادمة، والوضع العسكري الألماني في تلك الفترة، وفي هذا الخصوص ذكر تسيمرمان أن ألمانيا تستطيع بمساعدة

[72] انظر غنيم، عادل: الحركة الوطنية الفلسطينية. [القاهرة؟] ١٩٧٤ص. ٧٤-٧٦ والفصول ١-٣؛ الكيالي، عبد الوهاب: تاريخ فلسطين الحديث. بيروت ١٩٧٣. الفصول ٣-٦.؛ أنيس صايغ: الهاشميون وقضية فلسطين، الفصول ٤-٩. وايضاً مذكرات الخديوي عباس وكتاب انور الجندي عن عبد العزيز جايش.

أسطولها البحري وغواصاتها "U-Boote" بشكل خاص، أن تضغط بقوة وتفرض شروطاً خاصة تدعم القضية المصرية. حينها ذَكَّرَ فريد محدثه مرة أخرى بالأهمية الإستراتيجية لقناة السويس، التي يجب أن تدعم موقف مصر في مباحثات السلام، وتلتقي بدورها مع المصالح الألمانية.[٧٣].

وفي فبراير ١٩١٨ اقترح فريد على ألمانيا الإسراع في طرح مسألة تدويل قناة السويس للنقاش،[٧٤] خاصة وأن أغلب الدول التي لها مصالح في مصر والموقعة على بروتوكول لندن عام ١٨٤٠ أيام ولاية محمد علي عليها سوف تدافع عن حقوقها، ولن تسمح للانجليز بالتفرد بحكم مصر عامة وخاصة السويس التي هي جزء منها،[٧٥] إلا أن الألمان لم يظهروا أي تجاوب أو اهتمام يؤدي إلى إقامة علاقات متكافئة مع فريد، الذي تفهم الأمر في وقت مبكر، وجعله يسعى مع وطنيين مصريين آخرين إلى تعزيز علاقاتهم بالأحزاب الألمانية.[٧٦] فعند انعقاد مؤتمر الحزب الوطني المصري في برلين في ١٩١٧/١٢/١٨، من أجل دعم المقاومة الوطنية والاحتجاج ضد الاحتلال الإنجليزي لمصر، شاركهم في ذلك المؤتمر عدد من السياسيين الألمان، أهمهم البارون ماكس فون أوبن هايم، وشخص آخر يدعى "أمهوف باشا".[٧٧] وفي لقاءاتهم الأسبوعية، أهتم رموز المعارضة المصرية بعرض ما يستجد من تطورات متعلقة بقضية بلادهم، والإفصاح عن ما لديهم من معلومات

---

[73] Hamed, Rauf A.: Germany and the Egyptian Nationalists. S. 21.

[74] PAAA 15051, S. 100f. 13.02.1918.

[75] PAAA 15051, S. 101. يقصد ببروتوكول لندن اتفاق وتحالف الدول الكبرى ضد محمد علي باشا والي مصر حينذاك

[76] Hamed, Rauf A.: Germany and the Egyptian Nationalists. S. 22.

[77] فون أوبنهايم كان لديه اتصالات مختلفة مع الوطنيين العرب، وألقى كلمة تأبين بوفاة فريد عام ١٩١٩. أنظر الرافعي: ١٩٤٨. ص. ٣٧٣.

مهمة، كقولهم بوجود تفاهمات وبنود سرية ملحقة "بالاتفاق الودي Entente Cordiale" البريطاني الفرنسي عام ١٩٠٤، وزعمهم أن تلك التفاهمات والبنود السرية، تتضمن تعهد الدولتين بعدم المساس بالمصالح الاقتصادية الدولية في مصر"To safeguard her commercial interests"[٧٨] وعلى الرغم من أن مصدر تلك المعلومة، لم يحدد بالاسم الأطراف المعنية بالبنود السرية، فإن الشواهد تشير إلى ألمانيا والنمسا، ولا مجال هنا للبحث في تلك الاتفاقية لبعدها عن موضوع الدراسة. وعن موقف ألمانيا من المسألة المصرية، خلال الحرب العالمية الأولى، فقد ذكر باحث ألماني شرقي، أن ألمانيا كان لديها الكثير من الأولويات السياسية، التي يتوجب عليها مراعاتها، وأن المسألة المصرية، لم تكن ضمن تلك الأولويات، لكن رموز المعارضة المصرية، لم يدركوا ذلك كما ينبغي. فقد ترددت الخارجية الألمانية طويلاً قبل أن تصدر أي تصريح،[٧٩] تؤكد فيه ضمان استقلال مصر، بعد هزيمة دول الوفاق، على الرغم من إلحاح الوطنيين المصريين المتكرر، للحصول على مثل ذلك التصريح، إلى حد أن محمد فريد، سار يعتقد أن الدوائر العسكرية والسياسية الألمانية، كانت تستخدم المعارضة المصرية، أداة ضغط لتحقيق أهدافها وخططها؛ فألمانيا القيصرية كانت تطمح في أن تصبح قوة عالمية، ولم تكن عديمة الأطماع الاستعمارية في العالم العربي.[٨٠] وأما ما ذكره رؤوف عباس حامد، في

---

[78] Hamed, Rauf A.: Germany and the Egyptian Nationalists. S. 22.

[79] مسألة إصدار بيانات وتصريحات تؤكد استقلال مصر خاصة، والبلاد العربية في المشرق العربي عامة، كانت تطرح من قبل زعماء الحركات العربية المتعاونين مع دول الوسط، وأيضا المتعاونين مع دول الوفاق الودي. والنتائج كانت متشابهة في الحالتين، وقد تكرر القصة خلال الحرب العالمية الثانية، وترددت ألمانيا وايطاليا، حتى النصف الثاني من سنوات الحرب، فقد كان لتلك الدول اولويات أخرى أهم من مطالب العرب، وحتى ما اصدرته تلك الحكومات من وعود وبيانات، كانت خداعة وعديمة المصداقية، ومثال ذلك وعود الانجليز للشريف حسين.

[80] Rathmann, Lothar: Ägypter im Exil 1914-1918. S. 10.

سياق حديثه عن أخر أيام الحرب، من أن الألمان، عرضوا على محمد فريد، عند لقائهم به للمرة الثانية، في أغسطس ١٩١٨، مشروعاً جديداً، يهدف إلى تسليح الوطنيين المصريين المتواجدين في سويسرا، وتجهيزهم للقيام بعمل عسكري ضد الانجليز؛ وأن فريد تشكك من ذلك العرض، ورفض قبوله،[٨١] فالحقيقة أن الأمر لم يتوقف عند ذلك الرفض، فقد أثبتت الوثائق السرية أن المحادثات بين الطرفين قد استمرت بعد ذلك، وأدت إلى تأسيس جمعية مصرية ألمانية في برلين، تلاها الكشف عن مشروع ألماني، قصد به تأسيس حزب، تلتف حوله جميع تيارات المعارضة المصرية في المهجر، ويؤدي إلى إنها خلافاتها وانقساماتها، فحتى ذلك الحين كان يوجد أكثر من تيار معارض، أهمها الحزب الوطني بزعامة محمد فريد، والخديوي عباس حلمي الثاني وأتباعه، ولجنة الشبيبة المصرية، بقيادة الدكتور محمد فهمي، الذي لم يكن على وفاق دائم مع محمد فريد، ثم الحزب المصري الراديكالي، بقيادة الدكتور منصور رفعت، والذي ساهم بنشاط سياسي واسع، وعانى الكثير وضحى وطُورد من أجل مصر حتى توفي أخيرا في المنفى.[٨٢]

ثالثاً – مساعٍ وتوجهات براجماتية

١– تأسيس جمعية مصرية ألمانية في برلين

طبقا لما جاء في الوثائق الألمانية، فإن مشروع تأسيس الجمعية المصرية الألمانية، قد اقترحته لجنة الحزب الوطني المصري في برلين، فقد ذُكِرَ ذلك المشروع لأول مرة، على شكل خبر نشرته احدى الصحف في يونيو ١٩١٨.[٨٣]

---

[81] Hamed, Rauf A.: Germany and the Egyptian Nationalists. S. 24

[82] المزيد في دراسة للباحث عن سعد زغلول

[83] Vgl. PAAA 15052, S. 29. Berlin. 14.06.1918.

وفي ذلك الخبر اتضحت مبادئ تلك الجمعية، الهادفة إلى تحرير وادي النيل، من نير الاحتلال البريطاني، وتعزيز أواصر التعاون الثقافي والاقتصادي بين مصر ودول الوسط، وهو التحالف المكون من ألمانيا والنمسا من جهة والدولة العثمانية من جهة أخرى وربطهما معا.[٨٤] ومع ذلك فإن بعض الجهات الرسمية الألمانية، لم تكن على علم بقيام ذلك المشروع، ويتضح هذا من محتوى وثيقة خطية، ورد في محتواها الكثير من التساؤلات المقلقة، وطالبت بأن يكون لوكالة أخبار الشرق الألمانية، دور رئيسي بأي صورة من الصور، مع لزوم ممارسة نفوذ معين على الجمعية، فيما لو ثبتت جدية مثل تلك المشاريع،[٨٥] تلك الوكالة كان يديرها البارون ماكس فون أوبن هايم.

هذا النقص في تبادل المعلومات، يمكن تفسيره بوجود برود في علاقات الجانبين. فبالإضافة إلى الرسالة السابقة، هناك دليل آخر، يؤكد ما ورد على شكل ملاحظات خطية، تنصح بضرورة إعادة ربط العلاقات الشخصية مع المصريين، ويبدو أنه قد تم العمل بتلك الملاحظات. فقد ضمت تلك الجمعية مجموعة من الشخصيات المرموقة والمتخصصين الألمان، الذين اشرنا إليهم في الهامش مع الوظائف التي كانوا يتقلدونها.[٨٦] وكما كان متوقعاً فقد ترأس تلك مجلس أدارة الجمعية محمد فريد، ومعه وردت أسماء لبعض الشخصيات المصرية المرموقة من

---

[84] PAAA 15052, S. 29. "Viererbund, Mittelmächten, Zentralmächten" التسميات التالية "عصبة الأربعة، دول الوسط ودول المركز" تطلق على ألمانيا والنمسا-المجر والدولة العثمانية وبلغاريا والدول كانت التابعة لها.

[85] PAAA 15052, S. 27.

[86] Prinz Löwenstein als Vorsitzender, Graf Reventlow, die Chefredakteure von der Vossischen Zeitung Georg Bernhardt, der Nationalzeitung Dr. Viktor Hahn und der Täglichen Rundschau Dr. Rippler und Georg Roselius als Schatzmeister der Gesellschaft. لم تبين الوثائق مدى ارتباط تلك الأسماء بوكالة أخبار الشرق الألمانية.

رفاق محمد فريد تم تدوينها في الهامش.[٨٧] ومن بين الأعضاء الفخريين البارزين في مجلس إدارة الجمعية، ورد اسم الأمير سعيد حليم باشا، الوزير التركي الأول سابقاً، ثم وزير الدفاع أنور باشا، ومن الجانب الألماني ورد أسم البارون فيستارب، رئيس حزب المحافظين، والبروفسور شيمان. وبالنظر إلى الشخصيات الكبيرة، التي ساهمت في تأسيس الجمعية المذكورة، يمكن تقدير أهميتها، وجدية الأهداف المرجوة من وراء ذلك المشروع،[٨٨] الذي ورد اسمه في النظام الأساسي بأنه: "جمعية تحرير مصر في برلين". وفي النظام الأساسي، تم تلخيص الأهداف السياسية من تشكيل تلك الجمعية، لتحرير وادي النيل من نير الاحتلال الإنجليزي، وإعادة أوضاعها إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢م، وتوثيق علاقات مصر مع بلدان دول الوسط.[٨٩]

إن المطالبة بعودة الأوضاع في مصر، إلى ما كانت عليه، قبل الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢، المعروف ب. "status quo ante" معناه عودتها تحت سيادة السلطان العثماني. وبالنظر إلى عضوية الوزيرين سعيد حليم باشا وأنور باشا في تلك الجمعية، يمكن القول بأنه ترجمة لتلك السياسية وأهدافها، خاصة وان سعيد

---

[87] وهم عبد الملك حمزة بيه، محمد علي بيه، إسماعيل كامل بيه، دكتور احمد طاهر بيه، وعواد البحراوي بيه.

[88] Vgl. PAAA 15052, S. 57-62. عمل أنور باشا من ١٨٨١-١٩٢٢ جنرالا في الجيش العثماني، ثم وزيراً للحربية، شارك في الانقلاب ١٩٠٨ الذي قام به جمعية تركيا الفتاة ضد السلطان عبد الحميد الثاني. من عام ١٩١١-١٩١٢ اشترك في الحرب ضد الغزو الايطالي على ليبيا، وبين عام ١٩١٣- ١٩١٤ أصبح قائداً عاماً للجش فوزيراً للحربية وشارك في التوقيع على اتفاقية الدفاع المشترك مع ألمانيا، ولعب مع طلعت باشا الدور الرئيسي في قيادة حركة تركيا الفتاة من عام ١٩٠٨ -١٩١٨، التي تأسست عام ١٨٦٥ تقريباً، ومن عام ١٩٢٦ تعرضت لاضطهاد قوي من قبل مصطفى كمال أتاتورك. وبعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ ترك أنور باشا البلاد قهراً، وقتل في الحرب ضد ثورة البلاشفة.

[89] Vgl. PAAA 15052, S. 57.

حليم كان لا يزال يحلم بالوصول إلى حكم مصر، إضافة إلى ذلك كله تم أيضاً تسمية السفير التركي في برلين حقي باشا، راعياً مميزاً لتلك الجمعية، بعد الإعلان عنها مباشرة.[٩٠]

تلك هي القواسم غير المنظورة، والمعنية بالتقارب بين قيادات الحزب الوطني في برلين والدولة العثمانية، والتي تمخضت من خلال المناقشات المتعددة التي أجراها فريد في العاصمة التركية، وقد تبين له حينها أنها غير منطقية وغير مفيدة.[٩١] وفي الوقت ذاته وقف زعماء المعارضة المصرية في سويسرا ضد قيام تلك الجمعية، لأنها من وجهة نظرهم، ستؤدي في نهاية الأمر إلى وضع مصر تحت السيطرة التركية أو الألمانية. ومن خلال الوسائل المتاحة لهم، رفضوا ذلك الاتفاق، من خلال مقالة نشروها في صحيفة سويسريةTribune de Genève[٩٢] وهكذا فإن رفض المشروع المصري الألماني المشترك، من قبل بعض تيارات المعارضة المصرية في سويسرا قد عبّر بوضوح عن خلافاتهم العميقة، وكشف عن الأرضية الهشة، التي كانوا يقفون عليها، وعن حالة التمزق، وغياب الوحدة السياسية التي كانوا بحاجة إليها، بالإضافة إلى أسباب أخرى مثلتها تصوراتهم المختلفة لمستقبل مصر بعد التحرير، والتي كان يحلم بها مختلف تيارات المعارضة المصرية. وهو الأمر الذي جعلهم يفشلون في الاتفاق على وسيلة موحدة توصلهم إلى غايتهم. ويبدو أن تواجدهم الطويل في المنفى، والتباينات الواضحة في مواقفهم وتوجهاتهم السياسية، قد لعبت دورا كبيراً في إشعال تلك الخلافات، ناهيك عن أن تطبيق ذلك المشروع، على ارض الواقع، لم يعد ممكناً بعد انتصار دول الوفاق

---

[90] Vgl. PAAA 15052, S. 29.

[91] انظر رؤية فريد في تركيا في سياق هذه الدراسة

[92] PAAA 15053, S. 60. Bern. 30.09.1918.

الودي في الحرب على دول الوسط. في دراسة مستقبلية سوف نتناول المشروع الألماني لتأسيس حزب يجتمع تحت مظلته جميع المصريين في برلين وفي سويسرا.

٢ – رأي فريد بتركيا

في كتابه المعروف "محمد فريد رمز البطولة والتضحية"، أشار المؤرخ المصري المعاصر عبد الرحمن الرافعي، إلى أحاديث ولقاءات جرت بين محمد فريد والسيد تسيمرمان، وكيل وزارة الخارجية الألمانية حينذاك، عبر خلالها عن وجهة نظر المعارضة المصرية، في الدور الذي يمكن لتركيا أن تلعبه في مصر، مبرهناً على عدم أحقية تركيا في التدخل في شؤون مصر، القادرة على تقرير مصيرها بنفسها، لأن المصريين أكثر تطوراً وتنظيماً من الأتراك، الذين وصفهم فريد بالعاجزين عن فهم ما يريده المصريون، لأن الحكومة التركية كانت تفتقر للكفاءة الإدارية، مستدلاً بما كان يجري في سوريا وغيرها من البلدان الخاضعة للدولة العثمانية، وقد ورد في بعض الوثائق الألمانية ما يطابق تلك الأقوال.[٩٣]

استمر فريد في انتقاداته للدولة التركية، واتهمها بأنها كانت تريد أن تلتهم مصر، وعلى الرغم من ذلك فقد كان فريد وغيره من قوى المعارضة المصرية، يرغبون في إقامة علاقات متكافئة مع تركيا، كما كان الحال بين كل من مملكة المجر وإمبراطورية النمسا.[٩٤] وأوضح فريد لمُحَدِّثَهُ الألماني، أن لديه خيارات

[93] PAAA 15053, S. 67.

[94] Goldschmidt, Arthur: The Memoirs and Diaries of Muhammad Farid. S. 260. u. S. 331. الرافعي: محمد فريد رمز. ص. ٣٥٣ وما يليها. وفي مقابل الدعم المصري للجيش العثماني اشترط محمد فريد، أن يصدر تصريح رسمي من الدولة العثمانية، تعترف فيه بحقوق مصر، وقد وافقه على ذلك الشرط جميع الوطنيين المصريين.

أخرى، تتمثل في الحسم الفوري للقضايا العالقة مع الإنجليز، ولوح باستخدامها ضد الحكومة التركية، إذا اقتنع أنها ترفض الاعتراف باستقلال مصر.[95] وحول التنافس الدولي على مصر، أكد فريد رفضه استبدال الحكم البريطاني بألماني أو تركي، مع تفضيله للبريطاني، إذا ضمنت بريطانيا للمصريين التمثيل البرلماني والحكم الذاتي الكامل[96]. " If the British garanted us the represantative assembly and complete internal autonomy".

والمتمعن في هذا الرأي، الذي عبر عنه فريد، يجد أن رؤيته حول شكل العلاقة الواجب قيامها، بين مصر والدولة العثمانية، ليست جديدة بالمرة؛ فقد ذكرت المصادر أن فريدا سافر إلى سويسرا في ديسمبر من عام ١٩١٥، للمشاركة في اجتماع نظمته قوى المعارضة المصرية، وعند عودته إلى تركيا، تم اعتقاله من قبل السلطات التركية، والتحقيق معه عقاباً له على مواقفه الواضحة من تركيا في ذلك الاجتماع. وقد وقع ذلك الحادث في بداية فترة عمل طلعت باشا، وزيراً للداخلية. وفي عام ١٩١٧ تم تعيينه وزيرا أول في الحكومة التركية، وقد عرف عنه معارضته الشديدة لاستقلال مصر، وكان يطالب أن تعود ولايةً عثمانيةً تابعةً لتركيا بكل ما للكلمة من معنى. وعلى الرغم من ارتباطه الوثيق بالخديوي عباس حلمي الثاني، فقد كانت علاقاته سيئة مع سعيد حليم باشا. لقد كان طلعت باشا يوهم الخديوي أنه سوف يعمل جاهداً على إجراء مفاوضات سلمية، لإعادته إلى سلطته، التي سحبها الانجليز منه. وبسبب عدم ثقته بهم، حذر فريد من مطامع الأتراك الاستعمارية، ومن رغبتهم في ابتلاع مصر وضمها إلى تركيا. أما عن رأي فريد

[95] Rathmann, Lothar: Ägypter im Exil 1914-1918. S. 8.
[96] Goldschmidt, Arthur: The Memoirs and Diaries of Muhammad Farid. S. 328 u. 384.

في ألمانيا، الشريك الأساسي لتركيا في المنطقة، فقد ذكر أنها على ما يبدو تمارس نفس السياسة. وفي السياق ذاته اعتبر خليل حبيب، القنصل التركي العام في سويسرا، أن فريدا كان يعبر عن كراهيته للأتراك والألمان معاً، وأنه في داخل نفسه معاديا لتركيا وألمانيا. وتضمنت الوثيقة المشار إليها، ملاحظات مكتوبة بخط اليد، تصف فريدا بأنه شخص انتهازي، يتظاهر بتعاطفه مع الأتراك عندما يشعر بالخوف من فقدان دعمهم لمصر، وأنه في دخيلته لا يتوقع من الألمان أية فائدة.[٩٧] وبالنظر إلى ما دار بين الخديوي عباس حلمي، وبين بعض الساسة الألمان من خلافات سياسية، ومقارنة ذلك بمواقفهم من محمد فريد وموقفه منهم، علاوة على ما جاء في الوثيقة أعلاه، وما تضمنته من آراء وأحكام تم فيها تقييم مواقف فريد وسلوكه، – نجد أن بالوثيقة قدرا من المصداقية؛ فبعد مشاركته في ندوة عقدت في سويسرا، لدعم المعارضة الوطنية المصرية، سافر فريد إلى اسطنبول، لكي يثني الأتراك عن خطط، زعموا أنها ستؤدي إلى استقلال مصر، حيث ستقوم تركيا بمساعدة المصريين على تحقيق أهدافهم، مقابل أن يوافقوا على تنصيب الأمير سعيد حليم باشا، أو أنور باشا خديويا على مصر. وقد اتهم الأتراك المصريين المشاركين في ندوة سويسرا بمخالفة تلك الخطة؛ لذلك أمرت السلطات التركية باحتجاز فريد والتحقيق معه فور وصوله إلى عاصمة السلطنة، وفي أثناء ذلك حدثت مشادة كبيرة بين فريد وبين المحققين الأتراك. وبعد خروجه من الحجز، عبر فريد عن مواقفه من الأتراك، أمام احد رفاقه، الذي حاول كعادته أن يتكلم باللغة التركية، فرد عليه فريد غاضباً: لا تتكلم معي بتلك اللغة اللعينة؛ فقد سئمت من حزب تركيا الفتاة.[٩٨]

---

[97] PAAA 15050, S. 116. 26.02.1917.
[98] FO 371/2668, S. 13.

"Don't talk to me in that damned language, I am sick of the Young Turks".

وعند زيارة طلعت باشا إلى برلين عام ١٩١٧، انتقد فريد الوزراء الأتراك؛ لأنهم وحدهم فقط، من يزور ألمانيا دوماً، وفى مقدمتهم طلعت باشا، الذي يزورها كل مرة، ولكن من دون قيام الألمان بزيارات مماثلة لتركيا. وقارن فريد بين اهتمام الألمان في تعميق علاقاتهم مع السلطان العثماني، ورفض الأتراك إقامة علاقات متينة مع مصر، والتعاون مع شعبها.[٩٩] وعلى الرغم من خيبة أمله المتكررة، فقد احتفظ فريد بعلاقات ودية مع الأتراك. ويتضح ذلك من خلال مراسلاته مع باش حمبه، المتعلقة بالمساعدات المالية التركية. وعلى الرغم مما شاب علاقات فريد الخارجية من توتر، فإنَّ مراسلاته تدل على أنه حرص على استمرار علاقاته، لاسيما مع الأتراك والألمان.[١٠٠]

وطبقا لما ورد في دراسة رؤوف عباس حامد، من أن فريدا أدرك في السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الأولى، أن لا فائدة من فكرة تأسيس ما عرف حينها بالجامعة الإسلامية، على غرار "الجامعة الجرمانية"، وعوضاً عن ذلك حاول فريد بشكل أساسي، أن يقيم علاقات مع ألمانيا وتركيا من طراز خاص، فقد كان يتمنى أن تكون الدولتان حلفاً خاصاً بينهما، يقف في وجه "المطامع الأوروبية الاستعمارية".[١٠١] أما رفعت السعيد فقد ذكر أن محمد فريد، كان قد فقد الأمل في تأسيس "الجامعة الإسلامية" عام ١٩١٥.[١٠٢] منتقداً عدم تناول خلافات فريد مع عبد

---

99 الرافعي: محمد فريد رمز. ص. ٣٥٤ وما بعدها.

100 Vgl. PAAA 15050, S. 118. 27.02.1917.

101 Vgl. Hamed, Rauf A.: Germany and the Egyptian Nationalists. S. 24.

102 السعيد، رفعت: تاريخ الحركة الاشتراكية. ص. ٣٨.

العزيز جاويش، ممثل الجناح الديني المتشدد، في حركة المعارضة المصرية، مضيفاً أن جاويش سعى إلى إقامة حكومة إسلامية في مصر، مرتبطة بالإمبراطورية العثمانية الكبرى؛ وأنه كان يردد شعار "مصر للمسلمين" بدلا من شعار "مصر للمصريين". ويضيف السعيد أن ما أثار حفيظة فريد، ليس ذلك الشعار، ولكن ما كان يروج له جاويش من ضرورة الارتباط بالدولة العثمانية، لأن فريدا كان يروج، بالمقابل، لفكرة مصر القومية. وهذا الاختلاف في وجهتي النظر الإسلامية والقومية هو ما أضعف مواقف تيارات المعارضة المصرية في المهجر.[١٠٣] هذا؛ إلى جانب أنهم ارتكبوا "أخطاء قاتلة" عندما تركوا مصر وهاجروا في وقت مبكر إلى تركيا ثم إلى أوروبا،[١٠٤] فهجرتهم تلك أضرت كثيراً بالقضية المصرية وأضعفت تأثيرها.[١٠٥]

---

[103] السعيد، رفعت: تاريخ الحركة الاشتراكية. ص. ٣٦ وما بعدها.

[104] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 74.

[105] Vgl. Trefzger, Marc: Die Nationale Bewegung. S. 70.

نتائج البحث:

يمكن إجمال أهم نتائج البحث المستخلصة من واقع الوثائق التاريخية المعروضة هنا، ومن واقع الدراسات التاريخية المعتبرة لهذه الفترة الحاسمة من تاريخ مصر في النقاط الآتية:

- يسود شبه إجماع بين المؤرخين والباحثين على أن الخروج المبكر لرموز المعارضة من مصر، وفي مقدمتهم زعيم الحزب الوطني محمد فريد، كان، إلى جانب عوامل أخرى، سبب ضعف دور المعارضة المصرية في الداخل والخارج، وخاصة بعد خلع الخدوي ومنعه من العودة إلى مصر، وإعلان الحماية البريطانية عليها.

- تعارضت أهداف وتطلعات المعارضة المصرية مع سياسات حكومة الاتحاد والترقي التركية، التي لم تساعد المصريين بشكل مناسب لا في داخل مصر ولا في خارجها. ومن جانبهم كان المصريون يرون أن بلادهم أكثر تقدماً من الدولة العثمانية، التي كانت متخلفة كثيراً عن ركب الحضارة والتطور الجاري في دول أوربا وفي مصر أيضاً، وبالتالي يرفضون عودتها تحت الحكم التركي المباشر من جديد.

- تنافس القادة البارزين على أحقية زعامة المعارضة المصرية أضعف من دورها.

- لقد كان من شأن التباين في سياسات وتوجهات ومواقف تيارات ورموز المعارضة المصرية من الحكم التركي والاحتلال الانجليزي لمصر أنْ جعل معارضتهم قلية التأثير على الاحتلال البريطاني؛ فذوي التوجه الإسلامي، كانوا في الغالب من أصول غير مصرية، ويرفضون الاحتلال البريطاني، ويؤيدون بقاء مصر تحت سيادة السلطان العثماني، أسوةً بما كان لإمبراطور النمسا من سيادة في

مملكة المجر. وفي سنوات الحرب الأخيرة، تقدم حق تقرير المصير على جميع الخيارات الأخرى، فقد ظهر من يطالب بتقليد نظام الحكم السويسري في مصر. أما الخديوي وفريقه فلم يسجل موقفاً واضحاً، وكان يراوغ الأتراك والانجليز معاً، خوفاً من أن يقوموا بمصادرة أمواله وأملاكه وقصوره وعقاراته في مصر وتركيا.

- في بادية الأمر كان ينظر إلى مشروع الجامعة الإسلامية على أنه مشابه لحكم النمسا والمجر، ثم تغيرت هذه النظرة تبعا للتطور الدرامي للأحداث المتسارعة في تلك الفترة الحاسمة.

- لم تكن وسائل الإعلام والاتصالات الدولية قوية ومؤثرة في ذلك الوقت كما هي عليه الآن.

- لم تحصل المعارضة المصرية على دعم مناسب لكي تقوم بدور أفضل مما قامت به.

- انحصرت أعمال المعارضة المصرية في المهجر- غالبا- في ألمانيا وسويسرا.

- لقد كان من شأن التحالف التركي الألماني أن جعل الأخيرة تراعي مصالح تركيا على حساب المصريين.

- تسبب ضعف أداء الجيش التركي في جبهات القتال، وفشله في حملة قناة السويس، في إضعاف معنويات المصريين وأفقدهم الأمل في تحرير مصر من الاحتلال البريطاني على أيدي الأتراك.

- اتفقت تيارات المعارضة المصرية على الدفاع عن مصر واختلفت على أسلوب وطريقة تحقيق ذلك.

– حظي محمد فريد بتأييد غالبية المهاجرين المصرين، على الرغم من منافسة الآخرين له العلنية والسرية، وفي مقدمتهم الخديوي ومحمد فهمي وجاويش ومنصور رفعت.

– أمضى الدكتور منصور رفعت ما يقرب من عقدين من الزمن وهو يدافع عن قضايا مصر، ثم توفى في منتصف العشرينات في النمسا دون أن يتمكن من العودة إلى بلده.

– عانى رموز المعارضة المصرية من المعاملة السيئة التي مارسها ضدهم ساسة تركيا– زعماء حزب الاتحاد والترقي– الذين لم يكونوا صادقين في مواقفهم تجاه مصر، وحاولوا منذ البداية اغتيال الخديوي، ثم اعتقلوا فريدا وحققوا معه، وسلموا جاويش إلى مصر، كما نشروا ضد فريد والخديوي وغيرهم دعايات مغرضة واتهموهم باستلام أموال وتصريفها في غير محلها، هذا إلى جانب أنهم عملوا على تعكير مجرى حياتهم وراقبوا تحركاتهم في سويسرا وألمانيا.

– لم يكن سعيد حليم باشا صادقاً في تحالفه مع دول الوسط، ففي السر كان يغازل الانجليز رغبة منه في الوصول إلى خديوية مصر عن طريقهم.

– لقد كان من شأن الانقسامات السياسية، والاختلافات في المواقف والآراء، والحاجة إلى المال، والرغبة في خدمة قضايا خاصة، عملا بمبدأ "الغاية تبرر الوسيلة"، أن ساعدت الدول المتحاربة، في تجنيد بعض المعارضين المصريين والشرقيين، للقيام بجمع المعلومات ولكتابة المقالات الصحفية والتجسس لصالح تلك القوي.

– كانت علاقة المصريين في المهجر مع الداخل ضعيفة وشبه مقطوعة، وقد أدى ذلك إلى إضعاف تأثيرهم في مجريات الأحداث في داخل مصر، حتى غاب دورهم

في قيام ثورة ١٩١٩، وفي نفس العام توفى زعيم الحزب الوطني محمد فريد. ونتيجة لهزيمة دول الوسط في الحرب، تشتت الكثير منهم وفروا إلى أكثر من بلد، لكن البعض منهم عادوا إلى مصر، وساهموا في تطويرها، وفي مقدمتهم عاد الأمير محمد على، وأصبح وصيا على الملك فاروق، كما عاد علي شمسي على نفس المركب، التي كانت تحمل سعد زغلول العائد من المنفى، ثم أصبح عضواً بارزاً في البرلمان المصري. وفي وزارة عبد الخالق ثروت مارس ١٩٢٥ فازعلى شمسي بيك بمنصب الوكيل لمجلس النواب، كما أصبح وزيراً للتعليم، ولعب دوراً ايجابياً في إنهاء سياسة التعسف والظلم، التى مارستها حكومة زغلول والحكومات التي تلتها ضد الطلاب المصريين في ألمانيا في منتصف العشرينات. وقد وصل الأمر إلى ذروته بعد محاولة اغتيال سعد زغلول عام ١٩٢٤، حيث تم على إثرها اعتقال الشيخ عبد العزيز جاويش والكثير من المحسوبين على الحزب الوطني في مصر. أما رمز النضال الوطني محمد فريد والمجاهد المجهول والمطارد الدكتور منصور رفعت، وعباس حلمي الثاني، خديوي مصر الشرعي، فلم يعودا أبدا؛ حيث ظلوا في بلاد المهجر حتى وافتهم آجالهم المحتومة في فترات متفرقة، لتطوى صفحة من تاريخ مصر الحديث أفنى فيها هؤلاء الرموز حيواتهم كلها من أجل مصر، وإنْ اختلفت مشاربهم الفكرية وتوجهاتهم السياسية و أساليبهم في النضال.